

# الصَّابِرَةُ قَدِيمًا وَ حَدِيثًا

بِقلم

الشَّيْعَةِ الرَّازِيَةِ الْمَسْنَى

عدمة تقىسة من قلم حضرة صاحب السعادة العلامة  
أحمد زكي باشا

طبع بنفقة

كتاب الحكمة المختصرة

الحق أولاً ثم المختصرة  
بتاج عبد العزير سعيد

صندوق البوستة - مصر ١٩٢٥

الطبعة الأولى

بإذن حضرة المؤلف وتصحيفه

سنة ١٣٥٠ هـ سنة ١٩٣١ م

حقوق الطبع محفوظة

# كلمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

في العراق جماعة من الناس يتراوح عدد نفوسهم بين الخمسة والستة آلاف نسمة يعيشون على ضفاف الأنهار، ويتردون بعادات وتقالييد لم تألفها بقية الأمم، ويسمون أنفسهم (الصابئة) وقد تكون هذه الجماعة من الصابئة القدية وقد لا تكون إلا أن الشيء المحقق عندي هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة الأقدمين وطقوسهم الدينية بارزة بين معتقدات هذا الفريق من الناس.

والرسالة التي بين يديك أيها القارئ الكريم قد توقفت على كثير من عادات وتقالييد وطقوس وفرق الصابئة قد يعنى وحديتها . فان كنت قد أفتلت التاريخ بتدوينها ونشرها ، فذلك حسبي ومن الله التوفيق

بغداد سلخ ربيع الأول سنة ١٣٥٠

# مقدمة

بقلم حضرة صاحب السعادة البحارة الكبير والأستاذ الجليل

شيخ العروبة العلامة

أحمد زكي باشا

البراعة في نظرى نوعان : براعة الابتكار ، وبراعة الاتقان .

١ - فبراعة الابتكار، أن يتناول الانسان غرضاً من أغراض العمran ، أو عرضاً من أغراض الحياة ، فيتو Lah بالتفكير الطويل ويعالجه تكرار النظر العميق ، حتى إذا توافرت لديه الوسائل وتهيأت أمامه الأسباب ، أبرز للناس خلاصة بحثه الناضج ، فإذا هي حلية للابصار ، وجواهرة للعقل ، ومتعة للناس.

هذه البراعة مقصورة على أوراد معدودين ، يبعثهم الله من حين إلى حين ، وفي جيل دون حيل . وهم قليل بل أقل من القليل . ولكن ثمرات أعمالهم تتنقل بالانسانية كلها من حال إلى أسمى منها ، وترتقي بالحضارة إلى ما هو أرفع وأرفعه . وهذه نعمة من نعم الله ، فيها الخير العام وفيها الحكمة الشاملة .

٢ - أما براعة الاتقان ، فإنها مختلفة المظاهر ، متعددة الأشكال .

وسأقف في هذه الكلمة أمام ناحية واحدة من نواحيها الجمة .

تلك هي ناحية التحقيق العلمي الصحيح .

فالبراعة كل البراعة أن يعالج الكاتب موضوعاً مطروقاً أو بحثاً معهوداً ، أو أن يلتمس أثراً مشهوداً أو أمراً معروفاً ، فيدرسه درساً صحيحاً ، ويبحثه بحثاً دقيقاً . ثم يفيض عليه شيئاً من سحر البيان ، ويفصّل إليه قبساً من نور العرفان ، مع تزيينه بطريف التخيّص ومبتكراً التحقيق .

البراعة كل البراعة ، أن يحييد بعد ذلك تدبيج أطراfe و توسية حواشيه ، بما ينفعه من روح الحياة فيه ، مما نزل عليه من الاتهام بطريق الرحلة إلى المصادر الأولية ، أو توصل إليه عن طريق المكابدة في الاستقاء ، من المناهل الأصلية هذه هي البراعة التي امتاز بها أعلام العروبة على عهد ازدهارها : في مكة والمدينة ، في صنعاء وزيد ، في المصرة والكوفة ، في بغداد والموصل ، في دمشق وحلب ، في القدس وطبرية ، في الفسطاط والقاهرة ، في برقة وطرابلس ، في المهدية والقيروان ، في وهران وتلمسان ، في فاس ومراكش ، في شنقط وتبكت<sup>(١)</sup> ثم في قرطبة وغرناطة ، وغيرهما من أمصار الفردوس الإسلامي المفقود ، وأخوه الذي هو على شفا جرف هار .

هذه هي البراعة التي أتحى أثراها ( إلا بزراً يسيرًا تحت الأطلال ) وقد درست تلك الأعلام .

هذه هي البراعة التي خيّأ نورها ( إلا حمراً ضئيلاً بين الرماد ) فقد انطاماً ذلك المصباح .

يشدّها هنا وهنا ، ولا تخدّ لها غير ثالثة زهيدة عندنا ، مرهود فيها عند غيرنا . أما فحاتها الحفة ، وأما مظاهرها النافعة ، فقد ودعت بلادنا من رمان أعيده ، ثم طاب لها القرار في ديار الفرج ، لأنهم أكرموا منوهاها ، ولا يرون يساعون في الخفاوة بها .

(١) عاصمة الصحراء في أفريقيا . وهي التي مسح الحلة المترنجون اسمها سابعة لا إفرنج في وولهم Tombouctou فقالوا « تبكت » و الصواب ما وفدت « تبكت » ( بضم فسكون فضمان ينهم سكون ) . فافهموا واحفظوا لأن الإفرنج رسموا اللفظ حسب النطق به . ولكن المترنجين مسخوه بالآخر دون الرجوع إلى أهل العلم أو أهل الدار .

حقاً، إنهم أخذوا عن أجدادنا في الأندلس والمغرب ومصر والشام والعراق والجزيرة المقدسة وما إلى وراء ذلك حتى مطلع الشمس . يد أهتم واصلوا البحث والدرس حتى وصلوا إلى تسخير العناصر لخدمتهم وإلى ابتكار الصنائع واختراع البدائع التي يصح وصفها بأنها « لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطط على قلب بشر » .

هم يتواجدون من كل فج عميق على أقطار العربة من أقصاها إلى أقصاها، فيبحثون عما جهلنا من آثار أجدادنا الأولين .

هم ينقبون عن مفاخر أقوامنا في كل فن وطلب ، فيعيدونها إلى الحياة ، ونحن نائم نيا ، ولا أقول غير ذلك .

على أننا، نحمد الله ، قد بدأنا نأخذ عنهم ، ثم أنشأنا نسج على منوالهم ، فدخلنا طور التجربة وسيتبعه طور الاتصال ، فنكون جديرون بالأجداد .

٣ — بدأت بشائر هذه النهضة في مصر ، خاويتها الشامات . ثم جاء الدور لبغداد . وهو آت بلا شك إلى الجزيرة المقدسة .

وطالما تغيرت بها حالت في مصر والشام ، وطالما تغيرت أن أترى بغيرهما من بقاع العربة وإنى لسعيد بالتحول في هذه الكلمة عن العراق .

٤ — في بغداد نهضة مباركة ، وفي كل أنحاء العراق شعب طموح وثاب . وها هي آثار العمran تعود قليلاً إلى مهد العمran . وهاهي شبيبة الفرات تستقى من « النيل » ومن « السين » و« التاميز » ثم تعود إلى الرافدين لنشر العلم ولا حياء الصناعة في « ما بين النهرين » .

والذى تناهى لي عن ثقات الأصدقاء الصادقين ، أن الحركة الاقتصادية والصناعية في عيار العباسيين ، بين الوطنيين ، وفي دائرة الوطنيين ، ولمصلحة الوطنيين ، هي أوسع نطاقاً وأغزر مادة وأكثر رواجاً ما هو حاصل في وادى

النيل . وهذا شىء محمود تقابله بالاغتياب مع الارتياح .  
ولقد رأيت سادتهم وقادتهم في الشتاء الماضي بأرض مصر ، وهم ( مثل  
طلبتهم هنا ) متشحون بملابس كلها من نسيج بلادهم . وهم بها فخورون .  
أما الصحافة ، وهي عنوان النهضة ، ومرآة الامة ، ورسول الوطنية ، فاننى  
أرى فيها كل يوم بشاره جديدة تبعث الأمل وتقيمه على دعائم راسخة  
وأما الجوّ العلمي ، فقد كان إلى عهد قريب في خمول وخمود .  
ولكن السحائب السود ، بدأت تتبدّد عنه ، فانبثق مجال ضئيل للنور .  
وعن قريب يمتدّ ل الاشراق على كل آفاق العراق . فيعود بغداد عصري العباس  
في ثوب عصري قشيب .

٥— من آثار تلك البراعة التي تحدثت عنها في العراقيين ، ومن مظاهر  
هذا النور الذي ترقته فوق الرافدين ، هذا الكتاب الصغير . هذا الكتاب  
الذى توفر مؤلفه البارع على درس الصابئة أو القوم الأولى يسمون أنفسهم  
بالصابئة في بطامع البصرة وفي سهول الموصل . وقد أجاد فيه واستوف شروط  
البراعة التي أشرت إليها صدر هذه الكلمة .

وأنت ، إذا قرأته مثلى ، رأيت فيه دليل البراعة التي حدثتك عنها .  
وأنا أتنبأ لصاحبه بأن كتابه هذا سيتناوله المستشرقون بالترجمة إلى  
الألمانية وإلى كثير من اللغات الأخرى ، وأنه سيكون مصدراً من مصادر  
الباحثين ، ومرجعاً يرجعون إليه ، ومنهلاً يستقون منه . وجسيه ذلك فخاراً

أحمد زكي باشا

ولمثل هذا فليعمل العاملون

عن دار العروبة } ربيع الثاني سنة ١٣٥٠  
} أغسطس سنة ١٩٣١

## الصائحة قرمي ما وحدتنا

## توطعه

نظرة واحدة الى تطورات الفكر البشري في مختلف عصوره، تدل الباحث على الاتجاهات الفكرية الغربية ، والى تعدد النظارات في فهم هذا الكون و تفهمه .

ومهما حاول الإنسان أن يبتعد في تفكيره عن المعتقد وأن يجعل النظر خالصاً من شائبة الإيمان ، فإنه لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً . فالبحث في المعتقدات إنما هو بحث في طوابع التفكير ومناهج النظر البشري . إلا أن فائدة هذا البحث لا تقتصر على دراسة تاريخ المعتقدات والمذاهب فحسب ، إنما ترينا كيف يشرع الإنسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه وفي الوابطة بينه وبين هذه القوة المدبرة وتوقفنا من جهة ثانية على قيمة ما يظهر من النظريات في عصرنا الحاضر وما نواه مستحدثاً وطريفاً في آراء الشر ومحققاته .

و ضروري أن يعود الإنسان إلى تاريخ التفكير والمعتقد ليطلع من ورائه على غرائز البشر العامة وعلى ميوله وتأثيره بالظروف والأحوال . فكل وجوهات الإنسان فكرية كانت

أو مادية مرتبطة تمام الارتباط ومستند بعضها إلى بعض . وقد تكون هذه التفكيرات والمعتقدات عند التحليل والتحقيق ذات أصل واحد تشعبت منه وطورت الإنسان وتطورت معه ولكنها أصبحت بعمر الأزمان مختلفة تمام الاختلاف ومتباينة تباعي سلائل الإنسان الحاضر .

وكل ما يأتي به الباحث في مواضع غامضة كهذه ، هو أن يدل المتبع على أصلها الذي نشأت منه ، ويلوّح إلى العوامل المؤثرات التي عملت على تعريفه ، والصادقة من بين الأديان . القدية التي تستحق أن توضع موضع البحث الواسع في اللغة العربية ، وتستخلص زبدة الفكر فيها من كتب التاريخ والأديان . القدية ، ويستعان على ذلك بما في كتب المؤلفين العصريين الآجانب من تطورات واجتهادات عسى أن تكون مجملة طريقة في تاريخ الصادقة يستعين بها قراء العربية في فهم دقائق هذا المذهب القائم . وقد يضطرنا البحث في دين الصادقة إلى التعرّض والنظر في فكرة التوحيد ومنشئها والطرق التي توصل بها البشر إلى الاعتقاد بقوة واحدة تدبر هذا الكون وتهيمن عليه .

نظر البشر إلى هذا الكون فأبهره ما يحيط به من مظاهر الطبيعة وعجائب الكون . ورأى نفسه موجوداً صغيراً غائزاً عن رد الطوارىء الكونية ومجابهة العاديات فأكبر العاصفة وارتعدت

فرايشه لاصاعقة، ورأى في كل تلك المظاهر قوةً مدركةً وحياةً خاصةً قاسها عالم من وجود وادراك وحياة ورأها مثلاً للقوة التي تستحق الاتقيناد والخضوع ، ومن هنالك شأفت فكرة العبادة لمظاهر الكون واستمر البشر يؤله كل ما يخاف منه وما يجهل كنهه ، أو يرى فيه شيئاً غريباً حتى تطورت فكرة الدين بتطور البشر وأصبحت المظاهر الطبيعية تنضوي قواها وتستتر صفاتها في قوى محصورة ثم في قوة واحدة .

بعد أن كان الريح العاصف والاصاعقة المخيفة والشمس المبهرة والنار المتأججة وما سواها من مظاهر الطبيعة، آلهة تعبدوا وأرباباً تطلب منها المساعدة والمعونة ، أصبحت تلك القوى التي استترت فيها متمثلة في عدد محصور من الكواكب السيارة وفي قوة تتمثلها تلك الكواكب . واستمرت هذه الفكرة وتطورت فأصبح عدد الكواكب يتضاعل وأصبحت تلك الآلهة المتعددة يختفي بعضها ضمن بعض حتى لم يبق إلا إله واحد ، وأصبح الخلاف في صفاتيه وجهات النظر إليه بعد أن كان نزاعاً وخلافاً في شركائه وأقرانه . ولكن بالرغم من هذه التطورات التي تطورها البشر في عقيدته ، فإن جذور تلك الاعتقادات لا تزال باقية ولا يزال قسم من البشر يحتفظ بأضئول العقائد الأولى وبصفات التفكير القديم كما يوجد الآن قسم من البشر يحتفظ بعادات وأشكال البشر القديم .

فالصاينة وان أدخلت على معتقداتها بعض التعاليم الحديدة  
فانها من تلك المعتقدات التي كانت في الدور الأول للتفكير البشري  
لأن تأليه الكواكب وعبادة النجوم والنظر اليها كظاهر ذات  
أثر وذات إدراك، من المعتقدات التي لم تنشأ إلا في العصور الغابرة  
الا ان في بعض الأقوام خاصية الاحتفاظ بالتقاليد والعادات أو  
بالآراء والمعتقدات ، وهذا ما نراه في أصول ديانة الصاينة وفي  
تعاليمهم .

## أدوار الديانة الصاينية

### ١ - الصاينة في الدور الأول

لاشك في أن الديانة التي سادت العالم في الأعصر الأولى  
كانت هي (الديانة الطبيعية) أي عبادة مظاهر الطبيعة. وكان  
للأجرام السماوية بين تلك المظاهر المقام الأول والقدح المعلى ،  
فكأن البشر الأول رغم دخوله في دور الحضارة وتأسيسه أصول  
المدنية ، لا يزال في دياناته يعبد عصر ما قبل التاريخ. فلم تخُل حضارة  
البابليين والمصريين القدماء والفرس وحتى اليونان - على تأخيرهم -  
من تأليه مظاهر الطبيعة وتقديس الأجرام العلوية .

وإذا اعتبرنا أن ديانة الصاينة هي عبادة الكواكب والنجوم  
فلا شك أنها أقدم ديانة عرفها البشر في عصر التاريخ. أما أصول

هذه الديانة فهى الاعتقاد بتعدد القوى المدبرة لهذا الكون وبوجود قوة أعلى تهيمن على هذه القوى وتديرها . أما هذه الهياكل التي يقيمونها في الأرض وتلك المظاهر والطقوس التي يأتون بها في فروض عباداتهم، فكلّها وسائل تقرّبهم من تلك الأجرام التي حلّت فيها القوة . فشكل الكوكب إذا نظر على خاتم، وهندسة البيت إذا بنى على شكل خاص ، والحضور إلى الميكل أو البيعة في أوقات معينة ، والتوجه لدى تلاوة الأسماء، وتجريد الآلهة إلى جهة خاصة ، كل هذه مما يقرب الإنسان من مصدر القوة الأعلى .

هذه هي أصول ديانة الصابئة في دورها الأول وقد بيّن بعد تطورها طيلة هذه الأعصر شيئاً من تلك الأصول يوجد في عبادة الصابئة الحاليين من تعظيمهم للكواكب والنجوم ولا سيما الكواكب السيارة السبع . أما النجم القطبي فله مقام ممتاز عندهم فهو القبلة التي يتوجه إليها في كل فرض وطقس يقوم به المتندين . وكل الشعائر إذا لم يتوجه بها إلى هذا الكوكب فليست بمحبولة . فالميكل إذا بنى، وجب جعل بابه مستقبلاً له بحيث يكون الداخلي إليه مستقبلاً هذا النجم وبحيث تكون الشعائر التي تؤدي فيه متوجه بها إلى جهته تبركاً بطلعته وتيمناً بما له من خواص .

وكان هذه الميزة التي امتاز بها هذا الكوكب أنها جاءته من جهة ثباته وبقائه في موضعه دون أن يغيب عن كبد السماء في كل

ليالي الفصول . و معلوم ما للمظهر الطبيعي من الأثر — ولا سيما على البشر الأول — في تكوين العقيدة . ولكون الكواكب الأخرى تغيب عن كبد السماء في بعض الفصول وتظهر في الفصول الأخرى فقد جاءت بعد النجم الثابت في الدرجة . أما الشمس والقمر فانهما وإن كانوا مستمرين في الظهور ، إلا أن ما يطأ عليهما من الانتقال من برج إلى برج ومن النقصان والكمال ومن الخسوف والكسوف ، كان يفقد هما صفة الثبات التي امتاز بها الكوكب القطبي .

## ٢ — الصابئة في الدور الثاني

يكاد يكون تاريخ ديانة الصابئة تاريخاً عاماً للأديان الأخرى فإن السنن التي تشتَّتَ عليها هذه الديانة والتطورات التي تطورت بها توجد بارزة في سنن وتطورات سائر الأديان .

وغرير أن يذهب البعض إلى القول بأن الصابئة انتقلت من دورها الأول إلى دورها الثاني مباشرةً ومن دون عملية تطور . ولا يستطيع الباحث المنقب منها ساعدته المصادر أن يقف على حلقات الانتقال من الدور الأول في عبادة الأجرام إلى الدور الثاني في عبادة الأصنام والرموز والأوابد وكل ما يعرفه التاريخ ، إن الصابئة بعد مرور عصور طويلة ؛ أصبحت تبني الهياكل

وتشتهر بالسماء الكواكب وتقديرها التمايز وتتنافى على المرتفعات العالية الأوابد والرموز.

أما الأسباب التي دعت إلى هذا الانتقال فهى مما تساعد عليه عوامل التطور ويقتضيه تقدم البشر في الحضارة . فالذكى وسائل وجودات الإنسان الأخرى تتشتت في سوية واحدة وتطور على نسق واحد .

وقد فطن (المسعودي) المؤرخ الشهير إلى هذا المعنى فذكر قائلاً « أقام الصابئة على عبادة الأجرام برهة من الزمان وجملة من الأعصار حتى نبههم بعض حكمائهم إلى أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث في هذا العالم فانما هو على قدر ما تجري به الكواكب على أمر الله فعظموا ها وقرزوا لها القراءين لتفهمهم فكثروا على ذلك دهراً طويلاً . فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر ، أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناماً وتماثيل على صورها وأشكالها فعملوا لها أصناماً وتماثيل بعد الكواكب المشهورة وكل صنف منهم صار يعظّم كوكب منها ويقرب له نوعاً من القرابان خلاف ما لا يخر . على أنهم إذا عظموا ما صورا من الأصنام ، تحركت لهم الأجسام

العلوية السبعة بكل ما يريدون فبنوا الكل صنم ييتاً وهي كلّاً مفرداً وسموا تلك المهيأ كل بأسماه تلك الكواكب «اه».

أما الرموز فكانت عبادة ترمي إلى إظهار الأجسام العلوية بأجسام طبيعية سفلية فالنار والماء والهواء مما يرمن به إلى تلك الكواكب لأنها صادرة منها ومن هنا جاءت عبادة النار واستقل بها فرع من الصابئة دعى بذلك (بعباد النار أو المجوسية).

ولا يزال الصابئة الحاليون يقدسون مظاهر الطبيعة ويرون في النار والشهب والرعد والبرق وسائل الظواهر الجوية ترمزاً يعبر عن إحدى تلك الكواكب، وقد تخيلوا تلك الأجرام العلوية أشكالاً خاصة نحتوا على صورها الأوابد والتماثيل المقامة في الأماكن المرتفعة فكان لكل نجم صورة ولكل كوكب تمثال خاص يمثله في أدوار ظهوره وهكذا ظلت الأوابد والتماثيل الخالدة تعبير لنا عن تفكير البشر الأول في خالقه وتصوره للقوة المدببة.

### ٣ - الصابئة في الدور الثالث

بدأ هذا الدور باستقرار ديانة الصابئة ودخولها ضمن الكتب والأسفار واعتناء الكهنة بدراستها وتدريسها فكانت وكان فيها مجال واسع للنظر والبحث وللفلسفة والتعليق شأن كل ديانة تستقر وتستمر.

والذى يظهر من تتبع التاريخ، أن هذا الدور كان دور تعليمي

وتحليل لأصول الديانة. وكان لا تقطاع الرهبان إلى الدراسة والعبادة، شأن في إدخال الآراء الفلسفية على تعاليم الدين. أضف إلى ذلك أن العلم والبحث في ظواهر الكون، كان من جملة ماتدرسه المدرسة الأولى وما تعنى بالبحث عنه فكان لزاماً أن يتأثر الدين بالفلسفة وان تظهر التعليقات النظرية في المعتقدات الدينية ولا سيما وأن الفلسفة في تلك العصور لم تكن في مبادئها علمية بحثة بل كان للدين تأثير عليها فكان مما لا بد منه أن تصبح الفلسفة دينية وأن يصبح الدين فلسفه.

فتعاليم الصابئة في هذا الدور تأثرت نوعاً ما بهذا النوع من الفلسفة وكانت الابحاث فيها تدور عن حقيقة التمثيل والقوة وعن قابلية الكواكب واستعدادها وعن التأثيرات الكونية وعلاقتها بهذه الكواكب وعن خواص الأسماء والحرروف وعن مبدأ العالم ومنتهاه.

كل هذه الأشياء كانت مما يبحث عنها. ولكن علهم تكن علمية بحثة نظراً لبداية البشر في فهم الكون أنها كانت كل التعليقات الدينية تربط بخالق القوة وبشأته . فالشكل المربع مثلما في نظرهم اذا كتب في ساعة معينة من ساعات النهار أو الليل بحرروف خاصة للكوكب من الكواكب السيارة ، أصبح ذا اثر في الخارج .

أما السبب في هذا الأثر وفي هذه القوة التي ظهرت في المربع فستند في نظرهم إلى ما منح الله ذلك الكوكب من قوة التأثير وهذا كانت تعلق كل أصول الدين وأسراره.

ويمكننا من دراسة تاريخ بعض الأديان أن نعرف الأدوار التي ظهر فيها بعض الأنبياء فزمن الخليل الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وطرق استدلاله ومحاججته ، يبين بوضوح أنه جاء في زمن الفلسفة الدينية أي دور الثالث للديانة الصابئية.

ولم تنج هذه الديانة كغيرها من التأثير بالفلسفة اليونانية التي جاءت بعد ان نضجت الفلسفة وحاولت الاستقلال عن الدين فقد أدخل الصابئون كثيراً من الآراء الفلسفية اليونانية في تعاليمهم وقد يكون هذا التجدد في نهاية دور الثالث الذي دعى بذلك دور الفلسفة .

#### ٤ - الصابئة في الدور الرابع

كان للانقلاب الأخير الذي حدث قبيل المسيح (ع) وما جاء بعده من التطورات الدينية، أثر يين فيسائر الديانات الأخرى ، وكانت فكرة ظهور مجدد للغایة العامة، متغلفة في نفوس أصحاب كل دين . فقد مال الصابئة إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان هو الرجل المجدد المتضرر فاعتقدوا به وعظموه ولايزال الصابئة حتى الآن يذكرون له بعض التماميم ويعتقدون به كنبي مجدد.

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الصابئة قد انقرضت متذمّهور المسيح (ع) وأن المعتقدين بها قد اندمجوا في الديانة النصرانية اذا لايزال القسم الكبير من الصابئة الحاليين يعتقدون بأصول المعتقد الأول الذي يرمي الى تقديس الكواكب وتأليه النجوم.

## فرق الصابئة

أهم ما يلزم الباحث عند ما يريد أن يجزئ ناطق بحث أو ينظر في أقسام موضوع، هو أن يبعث نظرة اجمالية في ذلك البحث أو الموضوع ويكون للقارئ فكره عامة عن منشأ ذلك التجزؤ والتقطيع.

ومن الصعب جداً أن نتوصل بصورة تاريخية إلى الأزمة التي تفرّعت فيها الأديان وتجزأ فيها المذاهب ولكن ذلك لا يعنينا من الدخول في موضوع الصابئة وأمثالها من الأديان القديمة الكبرى، ولا يعنينا أيضاً من البحث عن فرقها التي تفرّعت عنها. ولئن كانت لفظة الصابئة عامة تتناول بحسب مفهومها قسماً واحداً من المتدينين بهذا الدين، إلا أن البحث التاريخي يدلنا على فرق متعددة ومذاهب متشعبة تندمج كلها تحت هذا الاسم ويجمعها جامع هذا المفهوم على ما ينبعها من اختلاف في العقيدة والفروع وعلى ما أصابها من تطور في الزمان والمكان.

وقد نطرق العلماء والمحدثون إلى تقسيم الصابئية وبيان الفرق التي نشأت منها وعرفوا كل قسم بما له من معتقد وبما يمتاز به من عبادة وما يقطنه من مكان . إلا أن القسم الأغلب من أولئك الباحثين كان معتمداً في بحثه على غيره وكان ناقلاً مجرد وغير متبحر ولا متوجل . ولعل أحسن من توسع في هذا البحث وبين الفرق الصابئية مستندًا إلى العقل والنقل هو الإمام أبو الحسن علي بن محمد المكنى بأبي علي بن سالم التغليبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الأمدي المتوفى عام ٦٣١ هـ . فقد ذكر في كتاب خطى له يدعى (كتاب أبكار الأفكار) أن أشهر فرق هذه الملة أربع وهي:

### الفرقة الأولى

أصحاب الروحانيات : وقد يقال ذلك بالرفع أخذًا من الروح وهو جوهر . وقد يقال بالنصب وهو حالة خاصة به . وقد زعم هؤلاء أن أصل وجود العالم يتقدم عن سمات الحدث وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له والخدمة من السفليات وذوات الأنفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات وإنما يتقرب إليه بالوسطيات بينه وبين السفليات وهي أمور روحانية مقدسة عن المواد الجرمانية (نسبة إلى الجرم) والقوى الجسمانية والحركات المكانية والتغيرات الزمانية في جوار رب العالمين . محبولون على تقديسه وتجيده وتعظيمه دائمًا وسرمدًا . قالوا وهم آهتنا وأربابنا

ورسائلنا إلى حاجاتنا وبهم يتقرب إلى الله تعالى . وهي المدبرة للكواكب الفلكية والمدبّرة لها على التناسب المخصوص حيث يتبعها انفعالات في العناصر السفلية . وحركات بعضها إلى بعض وانفعال بعضها عن بعض عند الاختلاط والامتزاج المفضي إلى التركب الموجب لتنوع المركبات إلى أنواع المعادن والنباتات والحيوانات وتصريف موجودات الأعيان من حال إلى حال ومن شأن إلى شأن إلى غير ذلك من الآثار العلوية والسفلية .

وزعموا أن الكواكب الفلكية هي كل هذه الروحانيات وإن نسبة الروحانيات إليها في التقدير لها والتدوير ، نسبة الأنفس الإنسانية إلى أبدانها وإن لكل روحاني هيكلًا يخصه ولكل هيكل فلكًا يكون فيه . وزعموا أن المعرف لهم (غارميون وهرمس) اللذان هما أصل علم الهيئة وصناعة النجامة . وهرمس هو أول من قسم البروج ووضع أسماءها وأسماء الكواكب السيارة ورتبها في بيتهما وبين الشرف والوابد والأوج والحضيض والمناظر والتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجوع والاستقامة والميل والتعديل . واستقل باستخراج أكثر الكواكب وأحوالها . وقيل إن غارميون هو شيت وهرمس هو ادريس (ع)

### الفرقة الثانية

أصحاب المايا كل : فانهم قالوا إذا كان لابد للإنسان من متوسط

فلا بد من أن يكون ذلك المتوسط كما نشاهده ونراه حتى تقرب إليه . والروحانيات ليست كذلك فلابد من متوسط يينها وبين الإنسان . وأقرب ما إليها هيَا كاها فهى الآلهة والأرباب المعبودة والله تعالى رب الأرباب وإليه التوسل والتقرب . فان التقرب إليها ، تقرب إلى الروحانيات التي هي كالأرواح بالنسبة إليها . ولا جرم انهم دعوا إلى عبادة الكواكب السبعة السيارة ثم أخذوا في تعريفها وتعريف أحوالها بالنسبة إلى طبائعها وبيوتها ومنازلها ومطالعها ومقاربها واتصالاتها ونسبتها إلى الأماكن والأزمان والآيالي وال ساعات وما دونها إلى غير ذلك . ثم تقربوا إلى كل هيكل وسألوه بما يناسبه من الدعوات فيما يناسبه من الأماكن والأزمان واللباس الخاص به والتختم بالخاتم المطبوع على صورته . والهياكل عندهم أحيا ناطقة بحياة الروحانيات التي هي أرواحها ومتصرفة فيها . ومنهم من جعل هيكل الشمس رب المياكل والأرباب . وهذه المياكل هي المدبّرة لكل مافي عالم الكون والفساد على ماسلف ذكره في تعريف مذهب الفريق الأول . وربما احتجووا على وجود هذه المدبّرات وانها أحيا ناطقة بأن حدوث الحوادث اما أن يكون مستندًا إلى حادث أو قديم ولا جائز أن يكون مستندًا إلى حادث إذ الكلام فيه كالكلام في الأول والتسلسل والدور محالان فلم يبق إلا أن يكون مستندًا

إلى ماهو في نفسه قديم وذلك القديم أما أن يكون موجباً بذاته أو بالاختبار . فان كان الأول ، فاما أن يكون كل مالا بدّ منه في إيجاد الحوادث متحققاً معه ، أو انه متوقف على تجدد . فان كان الأول فيلزم قدم المعلوم والقدم علته وشرطه محال . وان كان الثاني ، فالكلام في تجدد ذلك الأمر . كالكلام في الأول وهو تسلسل . فلم يبق الا أن يكون فاعلاً مختاراً وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار إلا الأفلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها أحياه ناطقة .

### الفرقة الثالثة

أصحاب الأشخاص : و هو لاء زعموا انه إذا كان لا بدّ من متوسط مرئي فالكواكب وان كانت مرئية ، إلا انها قد ترى في وقت دون وقت لظهورها وأفولها وظهورها وصفلتها نهاراً فدعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة نصب أعيننا تكون لنا وسيلة إلى المعرفة كل التي هي وسيلة إلى الروحانيات التي هي وسيلة إلى الله تعالى . فاتخذوا بذلك أصناماً وصوراً على صور المعبود كل السبعة . كل صنم من جسم مشارك في طبيعته اطبيعة ذلك الكوكب ودعوه وسائله بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان واللبس والتخيّم بما يناسبه والتخيّز المناسب له على حسب ما يفعله أرباب المعبود كل إلا أنها هي المعبودة على الحقيقة . وهذا هو الأشبه بسبب اتخاذ الأصنام .

ويحتمل أن يكون اتخاذ الأصنام بالنسبة إلى غير هذه الفرقة وتعظيمها لاتخاذها قبلة لعباداتهم أو لأنها على صورة بعض من كان يعتقد فيه النبوة والولاية تعظيمًا له . أو لأن قدماء أرباب الهياكل والأصنام وعامتهم ، ركبوا فراغ طلامم ووضعوها فيها وأمر وهم بتعظيمها التبقي محفوظة بها . وإلا فاعتقاد الالوهية فيما يخذوه صوراً من الأخشاب والأحجار وكوته خالقاً لمن صوره ومبدعاً لما وجوده قبل وجوده من العالم العلوى والسفلى ، مما لا يستجيزه عقل عاقل . بل البداهة شاهدة بردّه ولبطاله وإن وقع ذلك معتقداً لبعض الرقاع (كذا) ومن لأخلاق له من العوام منهم ، فلا يلتفت إليه ولا معول عليه .

#### الفرقة الرابعة

الحلولية . ( وقد سماها ابن بطوطة وغيره من ثقات المؤرخين بالحرّانية وهو الأصح عندنا ) وهولاء زعموا أن الآله المعبد واحد في ذاته وأنه أبدع أجرام الأفلاك وما فيها من الكواكب وجعل الكواكب مدبرة لما في العالم السفلي فالكواكب آباء أحيا ناطقة والعناصر أمّهات وما تؤديه الآباء إلى الأمّهات ، تقبلها بأرحامها فتحمل من ذلك المواليد وهي المركبات والله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته وقد يظهر أيضًا في الأشخاص الأرضية الخيرية الفاضلة وهي ما كان

من المواليد وقد يتركب من صفو العناصر دون كدرها وختص بالمزاج القابل لظهور الرب تعالى فيه، إما بذاته وإما بصفةٍ من صفات ذاته على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص. وزعموا أن الله تعالى عن خلق الشرور والقبائح والأشياء الخسيسة الديئنة كالحشرات الأرضية ونحوها بل هي واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادة ونحوة واجتماعات العناصر صفوه وكدوره. وزعموا أيضاً أنه على رأس ستة وثلاثين ألف سنة وأربعين وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر وكذا إلى ما يتناهى، وإن الثواب والعقاب على أفعال الخير والشر كل دور وافع لكن في الدور الذي بعده في هذه الدار لا في غيرها.

## الفرق بين فرق الصابئة

لعلَ التقسيم الذي ذكرناه للأمدي كان فيما يخص الصابئة على الأطلاق وفي مختلف عصورها. أما بحثنا الآن في التفريق بين فرقها، فانما يعني الصابئة الموجودة الآن والتي نوَّه عنها الأقدمون وذكرها القرآن الكريم.

ومن المتعذر جداً أن يتوقف الباحث إلى معرفة ما بين هذه الفرق من الرابطة. فقد ذكر القرآن الكريم قسمًا من الصابئة

وقد سرها المفسرون بعد أن نسبوا لها أصولاً وتقالييد تختلف كثيراً عن الصابئة الهرانية التي سيجيئ البحث عنها . كما أن هذين القسمين من الصابئة يختلفان كثيراً عن صابئة البطائحة المنشوشين الآن في مدن العراق الهرية . والحق أن كل فرقة من هذه الفرق تختلف في أصول معتقداتها عن الأخرى اختلافاً واسعاً . فقد سكنت الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن ، بلاد العرب ومصر قبل الإسلام وقبل النصرانية واليهودية ، وقد انقرضوا وغابت أخبارهم فأصبح من المتذر علينا بيان معتقدهم بالتفصيل . ولهذا فسيقتصر بحثنا على القسمين الآخرين من الصابئة ، أي الهرانيين وصابئة البطائحة مع العلم بأن كلاً من هذين القسمين قد أخذ الشيء الكبير منه تقدمه من الصابئة الذين ذكرهم القرآن المبين ومع العلم بأن الجميع قد عبدوا الكواكب وألهوا النجوم .

### الصابئة الهرانية

جاء في ص ٣٢٠ من الفهرست لابن النديم أبي الفرج محمد بن اسحق بن محمد بن اسحق الوراق البغدادي المتوفى عام ٣٨٥ هـ (طبعة أوربا) مامليخصه : —

قال أبو يوسف ايشاع القطبي النصراوي في كتابه في الكشف عن مذاهب الهرانيين المعروفيين في عصرنا بالصابئة : إن الخليفة العباسى المؤمن اجتاز في آخر أيامه بديار مصر (قرب ديار بكر) قاصداً أغزو الروم فتلقاءه الناس يدعون وكان ينفهم جماعة من الهرانيين

وكان زيهيم إذ ذاك لبس الأقبية وشعورهم طويلة جداً، فأنكر المأمون عليهم زيهيم وسألهم قائلاً من أنتم؟ فقالوا نحن الحرانية. فقال أنصارى أنتم؟ قالوا لا. قال أفيه ودأنتم؟ قالوا لا. قال فجوس أنتم؟ قالوا لا. فغضب المأمون وقال أفل لكم كتاب أم بي؟ فجمجموا في القول. فقال لهم فأنتم إذا الزنادقة عبادة الأولياء وأصحاب الرأس في أيام والدى الرشيد وأنتم حلال دماءكم ولا ذمة لكم. فقالوا نحن نؤدى الجزية. فقال المأمون اعا تؤخذ الجزية من خالق الاسلام من أهل الأديان الذين ورد ذكرهم في القرآن ولستم من هؤلاء، فاختاروا أحد أمرئين: إما أن تنتحلوا دين الاسلام، أو ديننا من الأديان التي ذكرها الله في كتابه، وإلا قتلتكم عن آخركم وقد أمهلتكم حتى عودتى من سفرى. نفاف الحرانية على حياتهم وأسلم بعضهم وقص البعض الآخر شعره وصاروا في اضطراب عظيم. ثم راجعواشيخاً فاضلاً وفقيراً كبيراً من فقهاء حرقان وسألوه عن تدبير لهم فقال لهم الشيخ لا تخافوا ولا تضطربوا فاني أوصلكم إلى طريق النجاح. بجمعوا له مالاً كثيراً وصاروا يرافقونه في كل يوم حتى قال لهم في آخر الأمر (إذا رجع المأمون من حربه وسائلكم عن دينكم فقولوا له نحن الصابرون وهذا اسم دين قد ذكره الله في كتابه فانتحلوه وأنكم لنجون).  
واتفق ان المأمون مات في سفره هذا (عام ١٢٨ھ) وكان

الحرانيون قد انتحروا هذا الاسم من ذلك الوقت، ولم يكن بحرّان  
يومئذ قوم يعرفون بالصّابحة. ثم رأى المسلمون أن يعقبوا اختطاف المأمون  
حتى جعلوا الحراني يتظاهر بالاسلام وإذا أرادوا زواجه تزوج بحرانية  
من طائفته فإذا ولدت له زوجته ذكرًا، جعله مسلماً. أما إذا ولدت  
له أنثى، جعلها حرانية أي صبية بالمعنى الذي أمعنا إليه وهذه كانت  
سبيل أهل ترعرع وسلامسين الفريترين المشهورتين بالقرب من  
حران إلى نحو ٢٠ سنة اهـ.

والذى يظهر من أسئلة المأمون لهؤلاء القوم الذين صادفهم  
في سفره والذين لم يكن على علم بهم مع ما كان عليه من سعة العلم  
والأطلاع على مختلف الأديان والملل حيث كان يجتمع في مجلسه  
العلمى ورؤساء المذاهب والأديان والنحل على اختلافها، أنهم لم يكونوا  
في بهذه الأمر صابحة وليس لهم علاقة بالصابحة الذين ورد ذكرهم  
في القرآن الكريم، وانهم اضطروا إلى أن يستشروا رؤساءهم  
وكهنتهم في الأمر. ولو كانوا من فرق الصابحة لما أشكل عليهم  
الأمر ولما احتاجوا إلى أن ينتحروا هذا الاسم انتحalaً.

على اننا نعرف من تاريخ الصابحة الحالين الذين هم أقرب  
إلى الصابحة الأقدمين ، انهم يعيشون على صنفاف الأنهر دجلة  
والفرات وأن لا يؤثر لديانة الصابحة في حران ولا معبد لهم مقدس  
هناك وما شوهد من طقوسهم الدينية وطرز عبادتهم وانتسابهم

إلى الأرض التي يسكنونها دون العبادة التي يعبدونها، كل ذلك يدلنا على أن الحرانية دين قديم أراد أصحابه البقاء عليه فاتحروا له اسم الصابئة.

وقد نقلت دائرة المعارف الأنجلizية والفرنسية كلام ابن النديم على علاقته ونقله أيضاً كتاب ألماني ضخم لم يحضرنا اسمه فلم يناقشوهم مع ماعرف به الألمانيون وسائر المستشرقين من التحيص والتدقيق، فكأنهم اكتفوا بهذا الكلام ولم يفرقوا بين ما ذكره القرآن من الصابئة وبين الصابئة الحرانية !

### صابئة البطائحة

يعيش بين ظهرانينا في العراق قسم من الناس لهم تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم . ويقادون أن يكونوا ممتازين بكل مظاهر حياتهم وحتى بأشكالهم وسخونة وجوههم ويطلق عليهم اسم (الصابئة) وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد لا يكونون . إلا أن الشيء المحقق هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة القديمة وطقوس دينهم؛ بارزة بين معتقدات وطقوس هؤلاء القوم . فعبادة النجوم واستقبال نجم القطب وتأليه الكواكب وغير ذلك من أصول الدين الصابئي مما يتدين به هذا الجموع الممتاز .

وقد يتعرف الباحث من اللغة التي يتكلم بها هؤلاء ومن إسبابهم شعور لحام ورؤوسهم ، أنهم شعب غريب نزح إلى هذه

البلاد واستوطنهوا واحتفظ بما له من تقاليد وعادات والتزم بالسكنى على ضفاف الأنهر وبقرب المياه الحاربة نظرًا لما يقيمه من الطقوس التي لا تم إلا بالارتعاش في الماء الحارى (وسيأتي تفصيل ذلك) لذا عرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائحة نسبة إلى بطائحة العراق المشهورة .

أما أن هذا الشعب قد انحدر من الصابئة الحرانية أو أنه من بقية الصابئة الأقدمين ، فأمر مشكوك فيه وموكول إلى خص التاريخ الدقيق .

ونظن أن أحسن روایة - وقد تكون أقربها إلى الحقيقة - هي التي أثبتتها المهزى يونيون في كتابه الإفرنجي الموسوم بـ (الرقم المندائية) المطبوع في عام ١٨٩٨ فقد جاء في ص ٢٢٤ منه تحت عنوان (الفرقة الدستائية) وهي المندائية التي اشتهر بها الصابئة الحاليون مامضمونه: إن صاحبها (أى صاحب هذه الفرقة) كان متسولاً وقد جاء من بلاد ما بين النهرين إلى ميسان (أى جنوب العراق) للتسول وكان مسيحيًا اسمه (دبدا) وأسم أمه (أم كشطا) ثم توطن ضفاف نهر قارون وأسس ديانة جديدة وعقائد مأخوذ معظمها من المارقيونيين والمانويين والكتنويين وغيرها من الفرق الصابئة، ثم توسيع هذه الطائفة على عمر السنين وسموا بالصابئة المغتسلة لأن جميع طقوسهم الدينية لا تم إلا بالاغتسال في الماء الحارى أهـ.

والذى يؤسفنا كثيراً ويجعل تاريخ الصابئة مقصولاً وغير مرتبط بالحلقات، خلو هذا التلخیص من الزمان الذى يعین قدوم (دبدا) إلى جنوب العراق (ميسان) الأمر الذى يوقفنا على تاريخ منشأ صابئة البطائحة والصلة بينهم وبين الصابئة الحرانية . ومع ذلك فهو لا يخلو من فائدة تاريخية تكشف لنا عن تاريخ غامض من تاريخ الصابئة .

## عقائد الصابئة وطقوسهم

كانت المعلومات المتقدمة مقصورة على التفریق بين الصابئة قدیماً وحدیثاً وعلى بيان فرقهم ومنشأ ديانتهم من وجهة تاريخية بحثة . أما ما سندخل فيه الآن ، فهو البحث في عقائدهم وطقوسهم الدينية ، وربما كان في دراسة العقائد والطقوس على ما هي عليه من التقطع والخبط والخلط ، الشيء الكثير من الفوائد التأريخية . وربما كان تعرف الباحث بوجهة النظر البدني ، يوصله إلى أزمنة التاريخ وإلى تحديد العصور التي تمر بها الأمم المتدينة بذلك الدين ، وما بآيديهم من المعتقدات إنما هو مجموع ما يتدين به صابئة البطائحة اليوم .

وقد علمنا أن في طقوس هؤلاء وأدابهم الدينية الشيء الكثير من ديانة الصابئة الأقدمين ومع ذلك فسنضطر في بحثنا إلى ذكر

الشيء القليل مما توصلنا إليه من عقائد الصابئة الهرانية التي نرى  
أن هناك فروقاً جوهرية تستدعي إفرادها بالذكر وتعيينها من  
بين مواضع البحث .

أما مصادر ما سند كره فتتحقق في التحرّيات الشخصية  
والنقل عن ما ديجته أعلام مشاهير الكتاب والمؤلفين والمؤرخين  
وكله مما تطمئن إليه النقوص اطمئناناً دون أن نعوض عليه بضرس  
اليقين القاطع ، نظراً لما بين تلك المباحث والأراء من التباين  
العظيم ، وكفى أن يكون ما نكتبه في هذا الموضوع خدمة  
تاريخية بذلنا فيها الجهد وأفرغنا فيها الوعس فمن شاء فليؤمن ومن  
شاء فليكفر .

### فكرة الخالق وبدء الخليقة

١ - فكرة الخالق : تعتقد الصابئة بأن الخالق واحد أزلٍ  
لا أول لوجوده ولا نهاية له . منزه عن عالم المادة والطبيعة وهو علة  
وجود الأشياء ومكونها .

ولا يكاد يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المسلمين فيه  
الآنهم افترضوا له صورة معنوية خلق آدم على نموذجها كما  
سيجيء البحث عنه في ذلك .

٢ - بداء الخليقة : كان المخلوق الأول لله ، شخصاً روحانياً

يدعى ( هي قدماء ) أى « الحي القديم » وقد خلقه الله وخلق معه عوالم كثيرة مملوءة بالنقوص المقدسة التي لا تختصى . ثم خلق الحي الثاني ( هي تنيائى ) أى « المخلوق الثاني » وخلق معه كذلك عوالم لا تعد مملوءة بالنقوص المقدسة . ثم خلق ( هي تليثائي ) أى « المخلوق الثالث » وخلق معه ما خلق مع سابقيه . وهذه النقوص التي تقطن هذه العوالم ، ينقسمون بحسب رتبهم إلى قسمين : عوام وملوك . ويقال للقسم الأول ( انزى ) وللقسم الثاني ( ملكي ) ثم خلقت عوالم سبعة تدعى ( آمي دهشوغا ) أى عوالم الظلام التي تستمد نورها من الشمس وسكانها الآن ينقسمون إلى قسمين : عوام وملوك ، وأرضنا من جملة هذه العوالم السبعة . أما هيئة الأرض فيرونها بشكل مربع وأنها ثابتة غير متحركة ولكن لها حركة خاصة وهي مقامة على هوائين ، هواء خارجي وآخر داخلي ، وتحت الأرض ماء انبسطت عليه . فلما أتم خلق الأرض ، أزلت الملائكة من عوالم الأنوار ، بذوراً للأشجار وفتحت طريقاً للهواء ولما ، الحياة الذي تقوم عليه حياة الأجسام الحية والنامية وهو واسطة ارتباط العوالم بعضها ببعض ، وفتحت طريقاً آخر للنور تستمد منه الشمس أشعتها التغيرة الكواكب بالواسطة .

وتتكون السماء من سبع طبقات تقع الشمس في الطبقة

الرابعة والقمر في السابعة (وهي في نظرهم الفريبة منا) والأرض والسماء مركبان من مادتين هي النار والماء ومن هاتين المادتين تكونت الأرض والسماء . وكذلك جميع الكائنات الحية فانها مركبة من طبقتين الماء والنار ولكنها تمتاز بأربع طبائع أخرى وهي الصفراء والسوداء والبلغم والرطوبة .

ولهم كتاب خاص في علم تشريح جسم الانسان وتركيبيه يدعى (تفسير بفره) وآخر في جغرافية الأرض وعلم الفلك يدعى (أسفر ملواشا) وبه يستطيع الكاهن أن يلم بما يحدث في الكون من الحوادث والتغيرات (انظر البحث في كتب الصابئة المقدسة).

## الكون في نظر الصابئة

ان لنشوء فكرة السرّ والعلن عند الصابئة أثراً في كثير من المعتقدات . فهم يرون أن لكل كائناً وجودين : علني وسرى ، وللكون أيضاً وجودان كون سرى ويسمونه (مشوفى كشطه) وآخر علني ويدعونه (أره تبيل) - أي الأرض التي تبلى - ويرون دائماً أن للوجود السرى امتيازاً على الوجود العلنى . فالعالم السرى قطر فسيح أكبر من العالم العلنى الذى هو عالمنا المسكن وهو مستور عننا لا يمكننا أن نشاهده حال حياتنا ، وله شرف المنزلة بالنسبة الى عالمنا فهو منه بعزلة اليدين من الشمال . وهذا الاعتبار

(أى اليمين والشمال) يشاهد في كثير من تعبيرهم التي يقسمون بها الأشياء والموجودات.

أما سكان هذا العالم فهم بشر مثلنا إلا أنهم صابئة متذهبون عن كل وصمة. ولا يخلو هذا العالم من الموت والفتاء أيضاً فالبشر الذي فيه، يموت كما نموت نحن إلا أنه ينتقل إلى عالم آخر يدعونه (آلمى دَنْهُورُو) - أى عالم الأنوار أو مقام النعيم - من غير أن يعرّ بموضع من مواضع العذاب. وهذا ما يقابل عالم الأرواح في نظر المسلمين.

أما العالم الثاني أى (أرَه تِبِيل) فهو عالم الكون المادي المشاهد الذي يطرأ عليه الفتاء وينتقل من فيه إلى عالم الأنوار بحسب درجته.

ولما كان الوجود السرى مثلاً لالوجود العانى، كان في العالم السرى آدم مخصوص يدعى (كاسيا) - أى آدم المستور - وتدعى زوجته (كانات) - أى تامة الجمال - كما أن لعالمنا هذا آدم يدعى (آدم بُنْرَه) - أى آدم المادى - وتسمى زوجته حواء. ولأجل أن يتخلص الصابئة من قضية التزاوج بين الأخوة في بدء الخليقة، اضطروا إلى القول بأن لكل من هذين الآدمين ابنة وولد فجمع بينهما (هيوه زيه) - أى جبرائيل - في العالم المنظور وزوج كل من الولدين بأخت الآخر ليتم التنااسل البشري

على طريقة مشروعة : فالعامة من الصابئة تدعى وفقاً لهذه الاسطورة، انهم من أولاد آدم غير المنظور . أما علماء الدين فيرون خلاف ذلك لأنهم يستبعدون خروج الأشياء المنظورة المشاهدة في عالم غير منظور ومشاهد .

### خلقة آدم

(كوره قدمائيه) اسم لاَدم (ع) أى أول الرجال أو (آدم بغره) وقد أراد الله أن يخلق آدم على صورته فأنزل (ابتهايل) وهو ابن (هيوه زيوه) أى جبرائيل إلى الأرض خلقه على صورة من التراب وخلق من ضلعه الأيسر زوجته (حواء) ثم أنزل الروح المقدسة في جسم آدم وزوجته، وعلم الملائكة آدم كل مافي الدنيا من صنائع وحرف ومهن وإجراء المياه ووضع عدد السنين والأشهر والأيام والأوقات وغير ذلك ، وأنزلت عليه الكتب المقدسة التي فيها فروض العبادة بأنواعها المختلفة . ثم أمر الله ملائكة النار بالسجود لاَدم فسجدوا إلا (هاديشه) وهو إبليس فإنه لم يسجد إذ قال خلقني الله من نار وخلق آدم من تراب فكيف أسجد له ؟ فطرده الله ولعنه . ثم جرى التناسل بين آدم وولده على نحو ما فصلناه في بحثنا عن (الكون في نظر الصابئة) ووضعوا للعالم تاريخاً قدره ٣٠٩٥٨٧ سنوات أنسدوه إلى أسطير لا يقرّها عقل ولا يقبل بها منطق .

## فكرة الخير والشر

فكرة الخير والشر من الفكر التي بحث فيها البشر بحثاً مسليفيضأ في الأزمنة القديمة والحديثة. ولا تزال الآثار المستخرجة من بطون الأرض ، ترينا تطور هذه الفكرة واختلاف نظر البشر إليها . إلا أن هذه الاختلافات والتطورات تنحصر في وجهات ثلاثة . أحدها تقول بأن الله تعالى مصدر للخير والشر كما أنه خالق لهما و ما العبد إلا آلة تصرفها الإرادة في الكافية لا حول له ولا قوته ولا اختيار وهذا ما دعاهم المسلمون بـ فكرة الجر . والثانية ترى أن فاعل الخير والشر هو الإنسان و إن الله مكوّن كل الأشياء والعبد يملك إرادة حرة و اختياراً مطلقاً .

أما الثالثة فتفصل و ترى أن الخير من الله والشر من الإنسان وللإنسان عقل يميز بينهما فله أن يعمل الخير و له أن يرتكب الشر . والصائبة ترى رأى الفريق الثاني أي أنَّ الخير والشر موجودان من قبل الإنسان ويحدثان بفعله وان ارادته الحرة و اختياره المطلق هو الذي يجعله مسؤولاً أمام الله . وهم يرون أن الله قد بين للإنسان طريق الخير و طريق الشر فله الحرية المطلقة في إتيان ما شاء و ترك ما يشاء .

## الموت في نظر الصائبة

يعتقد الصائبة أن الموت انتقال لاففاء واندثار . فالروح بعد

أن تخرج من هذا العالم، لا تفني ولا تنعدم وانما تنتقل من عالم إلى آخر فتةحصل بعالم الأنوار (آلمى دنهورو) ان كانت طيبة وتبقي حية مخلدة في ذلك العالم متعدمة بأنواع المللذات . وتنقل إلى أنواع العذاب ان كانت خبيثة . وربما كان تعذيب هذه الروح بالباسها شكلًا آخر واظهارها في جسم من الأجسام الذي يكون وجودها فيه عذاباً وشقاء . فالعذاب في نظرهم مهما كان نوعه ، إنما هو تطهير للروح من أدران الذنوب وهذا ما جعل لفكرة التناصح عندهم أصلاً .

أما المراسم التي تجري للجناز ، فتقام قبل خروج الروح من البدن. لأنهم يعتقدون بأن الروح لا تظهر اذا لم تخرج من بدن طاهر ولهذا وجب عندهم تغسيل الميت و تكفينه ساعنة احتضاره لخروج الروح من جسده وهو طاهر<sup>(١)</sup> . فاذمات نجس وحرم مسه وأصبح من المتعدر تطهيره

---

(١) نادرة طريقة أقصها على القارىء الكريم :

كنت في عام ١٩٢٢ طالباً في دار المعلمين ببغداد وكان في الدار المذكور شاب صابئ يدعى « مسلم ضمد » من أهالي الناصرية. أصيب في خريف ذلك العام بمرض الزائدة الدودية فأجريت له عملية من مجلحة ظن أنها ستؤدي حتماً إلى وفاته . وبعد مضي خمسة أيام على العملية ، طلبت أمه إلى السلطة الصحية أن تسمح لها بأخذ ولدها لتطبيق المراسيم الدينية له قبل أن تزهق روحه فيموت كافراً فلم تر السلطة مانعاً فسمحت لها بأخذ المريض المختضر ولكن ماذا عملت به أمه ؟

وبحرى مراسم نقل الميت ودفنه على وجه مخصوص فيحمل الجثة أربعة أشخاص من درجة (حلال) وهم رجال مقدسون يلبسون لباساً خاصاً بنقل الأموات. أما شكل هذا اللباس فيكون أيضاً ويشد الوسط بمنطقة من صوف ، فيتقدمون بالميـت الى مرقدـه الأـخير بين الصمت والخشـوع لأن البـكاء والعـويل محـمان على المـيـت وهم يعتقدـون بأنـ كل دـمـعة تـذـرفـها العـين على الفـقـيد، تـكـوـن نـهـراً كـبـيراً في طـرـيق نـفـسـه تـكـاد تـعـجز عن قـطـعـه .

أما القـبر فيـكون بشـكـل مستـطـيل ويـحـفـرـ عند رـأـى المـيـت حـفـرة صـغـيرـة ضـيـقة يـدـخـلـ فيها المـيـت إـلـى صـدـره ويـكـون وجـهـه وـرـجـلـاه متـجـهـتان نحو الجـدـى ، ثـمـ تـصـفـ الأـحـجـارـ من صـدـره إـلـى رـجـلـيه ثـمـ تـهـالـ الأـتـرـبةـ عـلـيـهـ

ولـهـم اـسـطـوـرـة يـتـناـقـلـونـهـا فـي سـبـبـ وـضـعـ الحـجـارـةـ عـلـى كـفـنـ

هـذا سـؤـال غـرـيب ، وأـغـرـبـ منه جـوابـه !

أخذـتـ الـوالـدةـ وـلـدـهـاـ إـلـىـ شـاطـىـءـ الـ(ـدـجـلـةـ)ـ وـرـفـعـتـ الـأـرـبـطةـ الـتـىـ ضـمـدـتـ بـهـ جـروحـ وـلـدـهـاـ ثـمـ بـدـأـتـ تـصـبـ المـاءـ الـبـارـدـ الـجـارـىـ عـلـىـ الـقـرـوـحـ وـهـىـ دـامـلـةـ وـالـوـلـدـ يـصـبـ وـيـسـتـغـيـثـ فـلـمـ يـجـدـ مـشـفـقاـ عـلـيـهـ . وـهـكـذاـ غـسلـوهـ وـكـفـنـوهـ وـرـبـطـوهـ بـالـقـصـبـ فـيـ اـنـظـارـ زـهـوقـ روـحـهـ . وـجـاءـ أـحـدـ أـسـاتـذـتـاـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ بـعـدـ أـرـبـعـ سـاعـاتـ فـوـضـعـ (ـآـلـةـ التـرـمـومـترـ)ـ عـلـىـ جـلدـ الصـبـيـ مـنـ بـيـنـ الـقـصـبـ وـلـاحـظـ أـنـ دـرـجـةـ الـحـرـارـةـ آـخـذـةـ بـالـتـحـسـنـ فـأـخـبـرـ الـأـطـبـاءـ بـذـلـكـ فـبـادـرـوـاـ التـضـمـيدـ جـروحـ «ـمـسـلـمـ ضـمـدـ»ـ مـنـ جـدـيدـ وـكـانـتـ النـتـيـجـةـ أـنـ شـفـقـ بـعـدـ أـيـامـ قـلـيـلةـ وـاجـتـازـ اـمـتحـانـ الدـاـسـةـ فـ، تـلـكـ السـنـةـ بـنـجـاحـ باـهـرـ فـتـأـمـلـ

الميت مباشرة. وهى أن كثيراً من آباءهم القدماء قد نبشوا قبور  
موتاهم فوجدوا أن أكفانهم قد اجتمعت في أفواههم وكان  
ذلك سبباً لموت أهل الميت من بعده بسرعة. فلاجل أن لا يسرع  
الموت إلى أهل الميت، توضع هذه الأحجار على صدره. أما وضع  
التراب عليه مباشرة فهي سيئة عمل بها (منداني) لما انهال التراب  
على جسد يحيى (ع)

ومتى عاد الشيعة من مراسم الدفن، أقاموا مائعاً لروح  
الفقييد في أربعة أيام متفرقة وهي اليوم الأول للوفاة والثالث  
والسابع والـ٣٥ منه، وعلى زوجة الفقييد أن لا تقض شعرها حداداً  
على زوجها، لأنها ترتكب بذلك ذنباً لا يغتفر. ومن مات بجأة  
يتقدم أحد عبادتهم من درجة (كنزوره) فيقوم بمراسم التكفير  
والتعميد لأن الموت بجأة يسبب اعتبار الميت كافراً كما لو كان قد  
مات بلا مراسم الجنائز.

### ما بعد الموت

فإذا مات الميت، استقبل روحه مكان يدعى أحدهما  
(صاويل نشريه) ويسمى الثاني (قاميزيوره) وهو نقلة  
الأرواح فيحاسباه على عمله في دنياه حسناً كان أم سيئاً. فان كان  
من أصحاب الأعمال الحسنة فان روحه تذهب إلى عالم الأنوار  
(آلمى دنهورو) من أقرب طريق تقطع فيه العالم السبع في خمسة

وأربعين يوماً وتنتهى إلى الميزان الذي تشاهد نجاته في السماء ولكن في عالم الأنوار فتوزن فيه الروح ثم يسمح لها بالدخول في عالم الأنوار.

وأول روح وزنت في هذا الميزان في اعتقادهم ، هي روح شيت بن آدم (ع) الذي مات قبل أبيه لأن الله تعالى طلب إلى آدم أن يلبي دعوته فأبى وكان عمره إذ ذاك ألف سنة ، وطلب أن يعيش ألف سنة أخرى . أما عمر ابنه شيت فقد كان ٨٠ سنة ولم يكن ليتزوج وبذلك أصبح عمر البشر غير محدود . فيموت الطفل الصغير والشاب غير المتزوج على ما هو جار عندنا اليوم .

ولو كان آدم قبل أن يموت عند ما طلب إليه رب ذلك ، لا أصبح للبشر عمرًا واحدًا ينتهى إليه فيموت . أما إذا كانت الروح خبيثة فتبقى في العذاب حسب ما تستحق .

وأنواع العذاب عندهم لا تقتصر على الادخال في النار فحسب ، بل هي تختلف أشكالها فتكون بالحبس في محل لاهواء فيه ، أو بضبطها بين جبلين ، أو بتعدديها في النار . فإذا خلصت من الذنب وقطعت العوالم السبعة في مدة تتناسب مع عذابها ، وصلت إلى الميزان فتوزن فيه كسابقتها .

## المعاد

المعاد هو الحياة الآخرة التي تحيي بها النفس في عالم الأنوار «آلمى دنهورو» وتنعم بما يتنعم به القدّيسون والروحـيون هناك والناس كـاـهمـ صـائـرـونـ إـلـىـ هـذـاـ عـالـمـ رـأـسـاـ أوـ بـعـدـ تـطـهـيرـهـمـ منـ خـطاـيـاهـ بالـعـذـابـ المـتـنـاسـبـ . أما هذه الأرض التي نـسـكـنـهاـ فـتـعـودـ بـعـدـ أـنـ تـفـنـىـ وـتـنـدـثـرـ هـىـ وـعـوـلـمـ الـظـلـمـةـ التـىـ تـسـتـمـدـ نـورـهـاـ مـنـ الشـمـسـ . ويختلف المعاد عند الصابئـةـ عنـهـ عـنـ الـمـسـلـمـينـ بـأـنـ الـأـولـينـ يـرـوـنـ أـنـ الـمـجـازـاتـ وـالـمـقـوـبـاتـ تـجـرـىـ فـعـالـمـ قـبـلـ عـالـمـ الـآـخـرـةـ . أما عند المسلمين فـأـنـهـمـ يـرـوـنـ أـنـ الـعـقـابـ وـالـثـوـابـ يـكـوـنـانـ فـيـ عـالـمـ الـآـخـرـةـ أـيـضـاـ كـاـمـاـ هـوـ فـيـ عـالـمـ الـبـرـزـخـ المـتوـسـطـ .

## الصوم عند الصابئـةـ

لم تخل الشرائع القديمة من ذكر الصوم وفرضه ومن تعينه بحدة معلومة . ففي آثار البابليـنـ والمـصـريـنـ الـقـدـمـاءـ ، وـفـيـ الـحـفـريـاتـ الـكـلـدـانـيـةـ ، ما يـؤـيدـ أـنـ الصـومـ عـبـادـةـ عـرـفـهاـ الـبـشـرـ مـنـذـ الـقـدـمـ . وقد جاء الإسلام مؤيداً فرض هذه الفريضة فقال الله تعالى في محكم كتابه المجيد (يـأـيـهـاـ الـذـينـ آـمـنـوـ كـتـبـ عـلـيـكـمـ الصـيـامـ كـاـ كـتـبـ عـلـىـ الـذـينـ منـ قـبـلـكـمـ) .

أما شريعة الصابئـينـ ، فـنـظـرـاـ لـقـدـمـهـاـ وـانـقـطـاعـ الـقـائـمـينـ بـهـاـ عـنـ

دراسة العلوم والفنون، تكاد تذهب فيها بعض الطقوس، أو تتغير. بينما نجد ابن النديم المؤرخ يذكر لنا فرض الصوم عند الحرانية من الصابئين حيث يقول عليهم - ص ٤٤٣ من الفهرست - (والمفترض عليهم من الصيام ثلاثة ثلثون يوماً أولها لثمان مضمون اجتماع آذار وتسعة آخر أولها لتسع بقى من اجتماع كانون الأول وسبعة أيام آخر أولها لثمان مضمون من شباط وهي أعظمها . ولهم تنفل من صيامهم وهي ستة عشر وسبعة وعشرون يوماً)؛ إذ نجد الصابئة الحاليين يحرمون الصيام في طقوسهم الدينية ويرون انه من باب تحريم ما أحله الله وان كانوا يتظاهرون به في أول رمضان بحراة لجاوريهم من المسلمين كما كان يفعل أبو اسحق الصابئ مع الشرييف الرضي . ونجدهم أيضاً يمتنعون عن أكل اللحوم ٣٦ يوماً على نحو ما هو عند النصارى . وكل هذه المتناقضات في عقائدهم إنما جاءت إليهم من تفرقهم ومن جهل علمائهم بما يحدث في الفنون وما يصل إليه البشر من الاكتشافات والعلوم .

### الصلوة عندهم

الصلوة عند المتأدبين، رمز الخضوع والانقياد لآراء الشريعة. فالمصلى يؤدى بحركاته وأعماله ، فروضاً اعتقادية تدل عليها تلك الحركات والأعمال . وإذا كان الصوم قد يعاً موجوداً في شرائع الأمم الباكرة ، فإن الصلاة أقدم منه بكثير . فقد صلى البشر القديم

وأنجحى أمام مظاهر الطبيعة حينما أرهبته وأخافتة وهو لايزال حتى الآن ينتحن تعظيمًا واجلاً أمام ما يتصوره من القوى في هذا الكون .

وقد تكون الصابئة من أشد الأمم حافظة على طقوسهم وعاداتهم . لذلك لا تستبعد أن تكون صلاتهم هي أول وضع عرفه البشر للصلوة وفي تأدية فروض العبادة .

أما هذه الأوقات التي خصصوها لتأدية الصلوة فهي تدلنا بوضوح إلى عبادة البشر الأولى التي كان يقدس بها مظاهر الطبيعة . وتشتمل إقامة هذه الصلوة على مراسيم وطقوس أضيفت إليها على توالي الأزمان تبدأ بالطهارة والاغتسال وتنتهي بتأدية الصلوة وإليك البيان : —

أ - الطهارة : لاتصح الصلوة عند الصابئة بدون طهارة شأنها عند بقية الأمم التمدينة . وكما تمنع الجنابة من إتيان الصلوة ومن تأدية الفروض الدينية عندنا معاشر المسلمين ، كذلك تمنع عندهم من تأدية الصلوة . أما غسل الجنابة فشروطه عندهم أن يكون بالماء الحي ، وهو الماء غير المقطوع من مجراه الطبيعي فاء الحمام مثلا في نظرهم ، ليس بحji لانقطاعه عن مجراه . أما كيفية الغسل فهي عبارة عن الارتعاش في الماء الحي من دون تلاوة أي شيء . ولكن الغسل وحده لا يكفي عندهم فلا بد من ضم الوضوء

الى وهو يجري عقب الفسل بأوضاع خاصة .

٢ - الوضوء : يجلس المتوضئ على ضفة النهر ويتوالى الرخصة (النية) بلغتهم المندائية ثم يغسل يديه حتى المرفقيين ويعقها بغسل وجهه ثم عورته ثم ركبتيه وكل ذلك ثلاثة . ثم يمسح جبينه وأذنيه وأنفه ويتوالى كل ذلك أدعية وتلاوات خاصة . ثم يدخل رجله اليمنى في الماء ثم اليسرى ويتوالى خلال ذلك هذا الدعاء ( بشميهون أو هي بولى أسوتا وزكوتا نهويلاك يا أب أبوهن ملكاميرياويس بردنار با آدمياهى ) ومعناه ( السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش رب الذي يحيي بك كل من في الأرض ) .

أما مفسدات الوضوء فهى؛ عبارة عن رفع الأنف، أو خروج الدم من الفم أو لمس لحم أجنبى أو خروج دموع . كل هذه تفسد الطهارة وتوجب اعادتها والوضوء واجب لكل صلاة .

٣ - الصدرة : أما صلاتهم فانها تقتصر على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض بلا سجود و تستغرق تلاوة الأذكار فيها ساعة وربع ساعة و تؤدى ثلاثة مرات فى اليوم الواحد قبيل طلوع الشمس و عند زوالها و قبيل غروبها .

وتبدأ الصلاة بالأذان وهو عبارة عن أذكار مندائية تتلى بين الحاضرين بدون رفع صوت أو وقوف على محل شاهق كما يفعل المسلمون . ويتجه المصلى عندهم الى جهة الجدى

رافعاً يديه وقليلاً من رأسه مع انحناء قليل بلباس خاص يدعى (الرستة أو السفيقة) وهي منطقة تشد على الوسط . ثم يتلو سبع قراءات يجدد فيها الرب ويدعوه بأسمائه الحسنى ويستمد منه العفو والشفاء من الأمراض ورفع الكوارث عن قومه وطلب الاتصال بعالم الأنوار .

وترى الصادقة ان فرض الصلاة كان أولاً على آدم أبي البشر بسبعة فروض يصلى منها خمسة في الأوقات التي يؤودي فيها المسلمون صلاتهم وانتantan في غير هذه الأوقات . إلا أن شريعة آدم قد استمرت الى أن جاء يحيى (ع) فدسخها بشريعته وجعل الصلاة ثلاثة فروض في ثلاثة أوقات كما هي اليوم عندهم .

هذه هي صلاتهم في الوقت الحاضر . وقد ذكر ابن النديم في فهرسته ، نوعاً من الصلاة كان يدين بها الحرانيون الذين ذكرنا أمرهم فيما مرّ وفيها شيء من الاختلاف عما تقدم . اذ ذكر (ان المفترض عليهم من الصلاة في كل يوم ثلاثة أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل لتنقضى مع طلوع الشمس وهي ثمان ركعات وثلاث سجادات في كل ركعة . وثانيةها يكون انتصافها مع زوال الشمس وهي خمس ركعات وثلاث سجادات في كل ركعة . وثالثها مثل الثانية يكون انتصافها بعد غروب الشمس . واما الزمت هذه الأوقات لواضع الأوتاد الثلاثة وهي ؟ وتد

المشرق ووتد المغرب ووتد السماء . ولهم أيضاً صلاة نوافل عنزلة  
الوتر وهي تلات في كل يوم . الأولى في الساعة الثانية من النهار  
والثانية في الساعة التاسعة منه ، والثالثة في الساعة الثالثة من الليل  
ولا تكون الصلاة إلا على طهور ) اه .

### الزواج عندهم

يجوز للصابئي أن يتزوج من النساء ما طاب له ، مثنى وثلاث  
ورباع متى تعهد بالمساواة بين زوجاته مساواة فعلية . وكما ان  
تعدد الزوجات جائز عندهم ، كذلك الطلاق عندهم فانه مشروع  
الا انهم يشترطون فيه الحجة البينة على ثبوت أسباب الطلاق  
وتتلخص هذه الأسباب في أربعة أمور وهي : —

- ١ - ثبوت الزنا ٢ - عدم الاغتسال من الحيض
- ٣ - ترك الصلاة ٤ - السرقة

أما تنفيذ الطلاق فيشترطون فيه أن لا يكون على أيدي  
رؤسائهم الدينيين ، بل يرسل من أراد الطلاق الى المحاكم الشرعية  
الإسلامية لتبت فيه حتى إذا أراد الرجل أن يعيد النكاح على  
زوجته المطلقة ، استطاع ذلك بواسطة رجالهم الدينيين .

### مراسم الزواج

وللزواج مراسم مخصوصة وتعميد مقررت يجري على أيدي  
رؤساء الدين بأوضاع خاصة تبدأ بارسال نسوة الى الخطيبة لستأكده

من أنها لا تزال بكرًا لأن العقد على الثيب ينجس الكاهن الذي يتولى العقد فتتعذر عليه الطهارة.

ولما كان الماء أساس الحياة في نظرهم ، فلا بد من اجراء مراسم الزواج في وسطه ، وهي ما يصطاحون عليها بالتعميد . وكيفية ذلك أن يأتي أحد كهنتهم من درجة (كَنْزُوره) مع مساعدين له من درجة (ترميمده) – أى تلميذ – فيدخل الجميع مع الزوجة في الماء الجارى فيرتسون فيه ثلاث مرات ثم تخرج الزوجة وفي يدها مصباح للدلالة على أنها (عروسة) لا يجوز لمسها لأن لمس العروسين خلال السبعة الأيام الأولى من العرس ، ينجسهما ويخلق لها مشكلة دينية يصعب عليهم مالتقاء شرها.

وتذهب العروسان إلى بيتها فيقرأ عليها الكاهن دعاء خاصاً ثم يعود بها إلى الماء فيعمد ها ثانية كما عمدها أولاً . فإذا أتم التعميد الأَخِير هـ أرسلها إلى غرفة عرسها حيث تجلس على (كَاتَة) – سرير العرس – تنتظر بمحبي زوجها إليها أما الزوج فيعمد كما تعمد الزوجة لأن الواجبات الدينية على الذكر والأُنثى سواء في نظرهم .

فإذا تم تطهير وتعميد الزوج ، يحضر مع وكيل للزوجة وجماعة من الأقارب والأصدقاء ورؤساء الدين المعلومين في عريش من قصب وتوزع على الحاضرين أرغفة من الخبز الرقيق ليأكلوه

كتاب موسى للزواج . فان لم يأكوه ، يعطى اما للفقراء أو يلتقي  
في الماء الحارى .

ثم يتقدم الكاهن الذى قام بمراسيم التعميد، فيلبس رداء خاصاً  
ويلبس العروسان ألبسة خاصة ويلقن وكيل الزوجة صيغة العقد  
التي تستمر قراءتها زهاء ثلاثة ساعات . فإذا تم التلقين المذكور ،  
تخلع تلك الألبسة الخاصة وتستبدل بألبسة العرس .

وحرام على العروسين وعلى جميع أفراد الطائفة ارتداء اللون  
الأزرق في كل حال كما هو الحال عند اليزيدية (عبدة الشيطان)  
ثم يأخذ الكاهن الزوج إلى الزوجة ويلصق ظهرها بظهرها ويأمر  
الزوجة بأن تقابلها وتنطح رأسه ثلاثة مرات ولكن برفق تتلى  
خلالها أدعية خاصة . ثم يكسر كوزين معدين لهذه الغاية وينصرف  
الحضور حيث يكون في استطاعة الزوج مواقعة زوجته في السلعة  
التي يختارها له .

أما المهر فيفرض على الزوج مقدماً ومؤخراً ويجوز أخذه  
في وقت واحد . ولا تكاد تختلف بقية العادات الموجودة عندهم  
في الزواج عما هي عليه عند المسلمين .

### العدة والحيض والنفاس

أقل مدة الحيض عند الصائبة ثلاثة أيام ، وأكثرها سبعة  
وأما مدة النفاس عندهم فهي ٣٠ يوماً فلا تحل للزوج مواقعة

زوجته في بحر هذه المدة حتى ولو ظهرت قبل انتقضائها . وبعد انتضائ مدة الحيض ، تذهب الزوجة الى الماء الجارى بجميع ألبستها فترتمس فيه ثلاثة مرات . أما النساء فتعمل هذا الارتماس باللبستها بعد مضي الأسبوع الأول على النفاس على أن تجدده بعد انتضائ الثلاثين يوماً وهى مدة النفاس القانونية كما تقدم .

وكما لا يجوز للحائض أن تلمس أى شيء في خلال مدة الحيض ، كذلك لا يجوز للنساء أن تختلط أو تجتمع بأى أحد ولا أن تطبخ شيئاً في بيتها ولا أن تقوم بأية خدمة بيئية . ومن عمل ذلك عمداً كان أم سهواً ، نجس ووجب تعبيده .

### الاعتراف عند الصابئة

تقضى العادة الدينية عند المسيحيين أنه إذا أذنب أحدهم ، يعترف أن يكفر عن ذنبه باعترافه أمام الكاهن المختص . وباستطاعة الكاهن أن يكفر له خططيه بأن يقول له ( احلت من إثلك باسم يسوع الآله الذى أعطاني القوة لهذه الغاية . . . ) ويضع عليه شرطاً يشرط عليه تنفيذه فإذا أتمها ، غفرت له خططيه .

و عند الصابئة أيضاً نوع من الاعتراف والغفران يشبه ما هو مقرر وموجود عند النصارى ولكنه يكون بصورة سرية جداً أشد مما هي عند النصارى . وكيفية ذلك أنهم يعجنون قليلاً من البرّ بلا ملح ولا خمير ويحملونه رقاقة في أرق ما يسع

ويختزونه في تنور جديد، ثم يقطعونه قطعاً مستديرة يقدسها كهنةهم، فإذا تم تقديسها، كانت كأنها خبزاً سماوياً كالذى يقتات منه سكان عالم الأنوار.

وتقدم هذه الأقراص لأفراد الطائفة في أيام الأعياد حيث يتعمدون قبل تناولها وهى لا تعطى إلا لمن كان حسن السمعة مشهوراً بالصلاح. أما فائدتها فيقولون إنها تجدد نظافتها النفس بحيث إن الشخص إذا أثم بعد تناولها، كان عقابه عشرة أضعاف ما لو أثم دونها.

### كهنة الصابئة ودرجاتهم ووظائفهم

لكل أمة من الأمم درجة خاصة تمتاز بكونها ذات مكانة مقدسة وبكونها تشرف على شؤون الأمة الدينية. وتتبع هذه الطبقة في كثير من تصرفاتها وأوضاعها قوازين الدين ومراسيمه الخاصة وقد تسمح لها السلطات المدنية في كثير من الأمم بالاستقلال بعض شؤونها وباتباع أنظمتها الخاصة. وبنسبة رق الأمم وأنحطاطها، تكون أنظمتها الخاصة شديدة وخفيفة إلى هذه الطبقة.

في الأمم المتقدمة، تقتصر وظائف هذه الطبقة على إقامة مراسم الدين ضمن المعابد والهيئات كل. وتنحصر واجبات الجمهور نحوهم بالاحترام والتقديس. أما في الأمم المنحطة، فتقاد تكون كل حركة من حركات الناس متوقفة على الاذن والرخصة من قبل

رجال الدين . ويُكاد يكون سلطان الدين فيها سلطاناً لا يزاحمه غيره . والصادقة من الأمم التي تحكمت فيها السلطات الدينية وجعلت كلمتها هي النافذة في جميع شؤون الطائفة . فالزواج والجناز والولادة والتسمية والذبح والصلوة كل ذلك لا يتم إلا على أيدي رجال الدين عندهم .

وينقسم هؤلاء الرجال الدينيون بحسب رتبهم إلى خمسة أقسام يستطيع المتنمٰ إليها أن يتدرج فيها حسب الأصول إذا توفرت فيه الشروط المطلوبة وهذه الأقسام هي : -

١ - (الحالى) : يشترط لمن أراد الانخراط في سلك هذه الوظيفة أن يكون سالم الجسم من كل العيوب الخلقية صحيح الحواس قد تعمت عائلته بهذه الصفات منذ ثلاثة أشهر وأن لا تكون أمّه ثيب حينما تزوجها أبوه إلى سبعة أشهر .

أما العلوم التي يتناولها ، فتقتصر على كتب الدين الابتدائية بعد اجراء مراسيم التعميد الخاص بهذه الدرحة .

وتحصر وظيفة الحالى في اقامـة مراسيم الذبح للعامة ، وكيفية خلقـ أن يحضر مقداراً من القصب والبردى والخلفاء وينظفـها في الماء ثم يطهرـ الذبيحة في الماء الجارى ويطرحـها على القصب ويـتلوـ عليها أذكاراً خاصة ثم يبدأ بذبحـها ولا يـصح لأحدـ أن يمسـها لأنـها تنجـس باللمس .

أما ذبح الدجاج، فيختلف بكونه لا يصح فيه أن توضع الذبيحة حال ذبحها وبعده على الأرض، إنما تذبح يد الحلالى وتوضع في القدر لعدة طبخها مباشرة لأن وضعها على الأرض ينجزها .  
وكما أنه لا يجوز للصاجة ذبح الذبيحة المصابة باحدى العاهات، كذلك لا يجوز لهم ذبح الدجاجة العوراء أو المصابة باحدى العلل .  
وعلى كل يشترط حضور شاهد يلبس لباساً خاصاً في جميع أحوال الذبح .

ولا يجوز الذبح ليلاً إلا في أحد أيامهم المسمى بالعيد الخامس (عيد زنجه) حيث يتساوى فيه الليل والنهار ويستمر خمسة أيام واسمه من لفظه الفارسي (أي خمسة )

٢ - الترميدة (أى تلميذ) : يتدرج الحلالى إلى درجة ترميدة بعد أن يحرى المراسم الخاصة لهذا التدرج وذلك بأن يتمدد بالارتفاع في الماء الجارى المتصل بيئر نابعة ، وأن يحضر مجلسه بعد خروجه ، طبقة من الكهنة من درجة مماثلة للدرجة التي يزيد الانحراف في سلوكها ومن درجة كنزوره . فيمكث معهم سبعة أيام كاملات لافتراض له عين فيها خشية أن يتطرق إليه الشيطان فيحتمل ويفسد عليه عمله لأن الاحتلال عندهم دليل على عدم كفاءة الرجل الحلالى إلى هذه الدرجة . ولهذا السبب نواه يضطر إلى الاكتثار من تلاوة الكتب والأدعية وإقامة الولائم والأفراح

ودق الطبل والأبواق حتى تنتهي المدة المذكورة . فإذا أتمها كاملة الشروط، أصبح (ترميمه) وجائز له أن يعقد على المرأة الشيف فتنحصر وظيفته في العقد على الثبات ويحرم عندئذ من الارتفاع إلى درجة (كنزوره) ولا يعارض أعمال دينية غير العقد المذكور ويسمى (أبو يسقي) أو (كنزوره من الدرجة الثانية) .

٣ - **الكنزوره** : لابد للترميمه الذي يريد أن يرتفق إلى درجة (كنزوره) أن يكون متزوجاً وغير عقيم . فإذا لم تكن له زوجة وذرية ، فلا يصح له أن يكون (كنزوره) وإذا ارتفق إلى الدرجة المطلوبة ، وجب عليه الانقطاع عن موافقة زوجته حتى يعقد مهراً العالم من درجة (ترميمه) وعندهن تباح له الموافقة المذكورة . ويشرط فيه أيضاً أن لا يكون قد عقد على ثيد ما لأن العقد على الشيف من اختصاص الترميدة كما أسلفنا .

أما المراسيم التي يجب عليه أن يجريها لذلك ، فهي عبارة عن إقامة عريش من قصب على بئر متصلة بماء جار يتعمد فيها بشهادة رجلين من الدرجة التي يسعى إليها واثنين آخرين من درجته الأصلية (أى ترميمه) فإذا أتم هذه المراسم ، أصبح (كنزوره) وفي طائفة الصابئة اليوم لا يوجد أكثر من عدد محدود لا يتجاوز السبعة من هذه الدرجة فقط أما الدرجتان الرابعة والخامسة فلم يبلغ إليها أحد في هذا العصر لعدم توفر الشروط المطلوبة لها .

ومعنى **كَنْزُوره**، مفسر كتاب (**الكتنزه**) — أحد كتب الصابئة المقدسة — أو صاحب الحق في تفسير هذا الكتاب.

ـ الارشه : و معناه رئيس الأمة و صاحب الكلمة النافذة

ولا يوجد اليوم في الصابئة من بلغ هذه الدرجة بعد ويشرط لـ **كَنْزُوره** الذي يريد الارتقاء إلى هذا المقام، أن يكون شخصاً ذا أهلية وكفاءة تجعلانه جديراً بهذه المنصب الخطير.

أما المراسم التي يجريها، فلا تختلف عن مراسم الترميدى الذى يتدرج إلى درجة **كَنْزُوره** إلأ فى عدد الأشخاص الذين يحضرون إقامة المراسم من طبقته ومن الطبقة التى يرتقى إليها. فإنه يشرط أن يكون عددهم سبعة وأن يكون السبعة الذين من طبقته قد لستفادوا من عالمه (وتلماذوا) عليه.

ـ الربانى : بعين الشروط التى يختار بها **كَنْزُوره** إلى درجة (أرشه)، يرتقى (أرشه) إلى درجة (ربانى) إلا أنه مختلف بعد الشهود الذين يحضرون تعميده. فإنه يشرط أن يحضر إقامة المراسم سبعة أشخاص من الطبقات الثلاث (الترميدى والكتنزه والأرشه) وتتلى عند إقامة هذه المراسم أذكاراً وأدعية خاصة من قبل الشهود المذكورين في أيام معينة العدد. فإذا ارتقى العالم إلى هذه الدرجة، يرتفع إلى عالم الأنوار (آلمى ذهورو).

ولم ينل هذه المرتبة من السابقين حتى الآن إلا يحيى (ع)

السمى في لغتهم المندائية (يهية ببهانه) كـا انه لا يجوز وجود شخصين من هذه الدرجة في عصر واحد.

### طعام الكهنة وبعض وظائفهم

لا يجوز للكاهن الصابئي أن يأكل من دار غير داره ولا من يد امرأة غير معبدة إنما يختص بزوجته التي عمدها هو واعتمد على معرفتها بمراسيم الطعام والفسيل وأحضار ماء الشرب، فستولى هي أحضار طعامه وشرابه وسائر ما يحتاج إليه بمراسيم خاصة. فإذا لم تكن عنده زوجة، فيتولى هو بنفسه إعداد الطعام والشراب لنفسه.

وقد حضر الشيخ دخيل ذات يوم عندنا في الدار «وهو من رؤساء هذه الطائفة» فامتنع عن تناول الطعام والشراب رغم حاجته إلى الماء. ومن غريب ما ذكره لنا أنه في حالة تناوله طعامه في بيته، يضع على صدره منديلًا خاصًا فإذا سقط طعام على غير ذلك المنديل، حدثت له مشكلة مهمة يتذرع عليه الخروج منها.

وللعلماء ذبح خاص يختلف عن ذبح العامة ويتولون به بأنفسهم بأوضاع مخصوصة وآداب متواترة، وهم يتولون — حسب درجاتهم — تعميد أفراد طائفتهم وتعليمهم الأمور الدينية والعقد على الأباء دون الشيبات.

## التعميد واقسامه عند الصابئة

التعميد عبارة عن اجراء مراسم خاصة يكتسب بها الشيء المعمد صفة دينية مقدسة . فإذا تعمد الطعام أو الطفل ، اكتسب صفة خاصة تؤهله للقيام بوظيفة دينية .

فالطعام مثلاً يحل بعد التعميد ، والطفل يظهر به ، والمذنب يكتسب بواسطته الفرقان ، فهذه الصفات الجديدة إنما اكتسبها الأشخاص واتصفت بها الأشياء بواسطه التعميد .

وتکاد تنحصر طرق التعميد عند الصابئة ( وهم يسمونه مصوّتاً ) في أربعة أنواع وهي : —

١ - عماد الزواج : وهو عبارة عن المراسم التي تقام للعروسين عند عقد الزواج وقد شرحنا ذلك فيما تقدم .

٢ - عماد الولادة : وتقصد به ما يصبح به الطفل طاهراً . فإذا رزق أحدهم مولوداً ، وجب عليه أن يخبر الكاهن به ليعين له الزمان والمكان والنجم والطالع والبرج والمنزلة التي ولد فيها ، ويثبت له مع مقارنة هذه الأشياء وبعد اختبار الطالع ، اسم يدل عليه برجه ومنزلته السماوية . ويكون هذا الاسم محفوظاً للمولود . وبلغتهم المندائية الخاصة . ثم يضعون له بجانب هذا الاسم ،

اسماً آخر تقتضيه البيئة التي يعيشون فيها، ففي البلاد العربية يسمونه باسم عربي وبغيرها من البلدان يسمونه بأسماء سكان تلك البلدان.

فإذا مرَّ على المولود أربعون يوماً<sup>(١)</sup> وجب أن يعمد بعميد الولادة. وكيفية ذلك أن يذهب به إلى كاهن من درجة كنزوره مع شخصين من درجة ترميده (أى التلميذ) وبعد أن يرتدى الكهنة حلتهم الكهنوتية المسماة (رسته) ويأخذ رئيسهم (الكنزوره) عصا خاصة (تدعى مركنه)، ينطلقون إلى الماء الجاري، فيجلس الرئيس بين تلاميذه على حافة النهر ويتوسل على رأس الطفل أذكاراً خاصة وينزل في النهر، فيشرع يغرس الماء بيده ويصبه على المولود ثلاث مرات وهو يتلو في كل حركاته أدعية مقررة، ثم يضع في أصبع المتعمد خاتماً من عود الآس ويخرج بعد ذلك من النهر بعد أن ينتزع الخاتم من أصبع المولود ويضعه على جبهته.

ثم يتناول يده اليمنى مقداراً معيناً من البخور يلقيه في نار معدة لذلك ويتوسل أثناء اشتعال البخور أدعية خاصة، ثم يتناول عشر حبات من حب السمسم المقلي الموضوع في كيس خاص فيصب عليها قليل من الماء يفترقه بيده من النهر بعد خروجه، وبعد أن يلته بأنامل يده اليمنى، يضعه على جبين الطفل ثلاث مرات يقول

(١) لا يجوز تعميد الطفل قبل خروجه من الأربعين ولا بعد مرور شهر على ولادته ولا في أيام الأعياد مطلقاً ويستحب تعميده في أيام الأحد

فَأَثْنَاهَا مَا مَعَنَاهُ (لَقَدْ وُسِّمَتْ بِسَمَةِ الْحَيَاةِ وَاسْمِ الْحَيَاةِ وَاسْمِ مَعْرِفَةِ الْحَيَاةِ مَذْكُورٌ إِنْ لَكَ عَلَيْكَ).

ثُمَّ يَصْلِي عَلَيْهِ صَلَوةً طَوِيلَةً يَصْبِحُ بَعْدَهَا الطَّفَلُ مُعَمَّدًا، ثُمَّ يَرْفَعُ الْكَاهِنُ الْخَاتَمَ عَنْ جَبَهَةِ الطَّفَلِ وَيَضْعُهُ عَلَى شَفَتِيهِ ثُمَّ يَرْمِيهِ فِي الْمَاءِ، وَبِهَذَا يَنْتَهِ التَّعْمِيدُ وَيَنْصُرِفُ الْمُخْتَلِفُونَ بِتَعْمِيدهِ.

٣ - عِمَادُ الْجَنَابَةِ : يَنْجِسُ الصَّابِئِيُّ بِالْجَنَابَةِ، وَتَحْتَاجُ طَهَارَتِهِ إِلَى تَعْمِيدٍ فِي مَاءِ جَارٍ سَوَاءً أَكَانَ الْوَقْتُ قِيَظًا أَمْ شَتَاءً وَبِعِرَاسِمٍ خَاصَّةٍ يَعْقِبُهَا وَضُوءٌ كَمَا مَرَ بِنَافِي بَحْثِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ.

وَالصَّابِئِيُّ ؛ يَجْنِبُ إِذْ لَمْسَ الْمَيْتَ أَوْ الْمَوْلُودَ أَوْ الْحَائِضَ أَوِ النَّفَسَاءَ أَوْ دَمَ الْحَيْوَانِ المَذْبُوحِ عَلَى غَيْرِ شَرِيعَتِهِمْ أَوْ إِذَا نَهَشَتَهُ الْحَيَاةُ أَوْ لَسَعَتَهُ الْعَقْرُوبُ أَوْ غَيْرُهَا مِنْ الْهَوَامِ .

٤ - عِمَادُ الْجَمَاعَةِ : فَرْضٌ عَلَى الصَّابِئِيِّ أَنْ يَتَعَمَّدَ فِي كُلِّ عِيدٍ (بِنْجَهِ) مِنْ كُلِّ سَنَةٍ وَيَقَامُ هَذَا الْعِيدُ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ بَيْنَ شَهْرَيِّ كَانُونِ الثَّانِي وَشَبَاطِ مِنْ كُلِّ عَامٍ، وَيَنْسَبُ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ هَذَا الْعِيدِ إِلَى شَخْصٍ مِنْ أَشْخَاصِهِمُ التَّارِيَخِيَّينَ، فَيَلْبِسُ الصَّابِئِيُّ فِي هَذَا الْعِيدِ أَلْبَسَةً يَيْضَاءً وَيَعْشَى حَافِي الْقَدْمَيْنِ وَيَرْتَسِ كُلُّ مِنْهُمْ فِي الشَّطَاطِ قَبْلَ تَناولِ الطَّعَامِ وَيَدْهُنُ شَعْرَهُ بِدَهْنِ السَّمِسمِ .

وَالتَّعْمِيدُ فِي هَذَا الْعِيدِ يَشْمَلُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ عَلَى حَدَّ سَوَاءٍ

والقصد منه التكفير عن الذنوب بزيارة الكنائس المقدسة  
والارتماس في الماء .

### اعياد الصابئة

تقسم السنة عند الصابئة إلى ٣٦٠ يوماً وإلى ١٢ شهراً في كل شهر ثلاثة وثلاثون يوماً . وأول السنة عندهم نيسان وتليه الشهور على الترتيب بأسماء تختلف قليلاً عن أسماء الشهور الرومية .

أما بداية التاريخ عندهم، فينقسم إلى ثلاثة أقسام: فبداية الخليقة وهبوط آدم، أول تاريخ تحضبط به السنين عندهم . ويليه عام الطوفان الذي يعتبر الآن تاريخاً لتحديد السنين . ثم ولادة يحيى (ع) التي لا تفرق في المدة عن ولادة المسيح (ع) إلا بستة أشهر، لذلك فهم يتتفقون في بداية تاريخهم الأخير مع التاريخ الميلادي .

أما التاريخ الهجري، فهم يعتقدون بصحته أيضاً ويستعملونه في كثير من معاملاتهم الدينية والرسمية لأن ظهور النبي محمد (ص) كان منصوصاً عليه في كتبهم المقدسة وهو بداية الدور الأخير الذي يحتاج إلى اصلاح .

وهم يقدسون يوم الأحد كالنصارى ويغطّلون فيه اشغالهم لأنهم يعتقدون بنزول (موسيه) أحد الـ ٣٦٠ قديساً السماويين من عالم الأنوار (آلمي دنهورو) إلى الأرض ميداً هـ (مشوني كشطه)

ولذا فهم يسمون هذا اليوم باسم القديس السماوى . أما بقية أيامهم الرسمية فهى : -

١ - عيد الكبير ويسمونه ( دهو ربہ ) أى عيد ملك الأنوار ومدته ٣٦ ساعة تبتدئ باليوم التاسع من شهر آغستوس ويشترط فيه أن يلازم الصابئي بيته وأن يذخر فيه ماءً يكفيه لأيام هذا العيد لأن ملك الماء مع سائر الملائكة الأرضيين ، يرجعون إلى عالم الأنوار للاحتفال بهذا العيد فيستغرق صعودهم ١٢ ساعة وبقاوئهم في عالم الأنوار ١٢ ساعة وهم يعتبرون بهذا العيد ، اليوم الذي غفرت فيه خطايا آدم وتكلم فيه بالفاظه القوية ويراجع العلماء في مثل هذا اليوم ، كتب الطالع المقدسة ليستكشفوا حوادث السنة وما يقع فيها . ولهם فيه عادة تقاد تكون موجودة عند جميع الأمم التي تختلف بعيد ( النوروز ) وهى وضع الفواكه الطريقة واليابسة في طبق طيلة ليلة العيد حتى إذا ما أصبحوا ، تناولوه . ويسمى كل صابئي في هذا العيد خشية أن يختتم .

٢ - عيد الپنجه ويسمونه ( دهو پرونيا ) ويستغرق خمسة أيام كما تدل عليه اللفظة الفارسية . وهى الخمسة الأيام التي تكسس بها السنة لأن أشهرهم ثلاثةون يوماً . ويقع بين الشهرين الثامن والتاسع من سنتهم <sup>(١)</sup>

(١) تبتدئ سنتهم بشهر نيسان كا تقدم

وكل يوم من أيام هذا العيد، مخصوص بشخص من الأقديس.  
ويتعبد العامة في هذه الأيام ويقدمون فيه الضحايا وهو بعد عيد  
الصغير بـ ١٣٢ يوماً وفيه تقدس الكنائس المحدثة التي تنشأ عادة  
من حزم القصب على شواطئ الأنهر ويكون لها نافذتان مع  
باب تقابل جهة الجنوب ليستقبل الداخل فيها نجم القطب القائم  
تحته العرش الرباني .

٣ - عيد الصغير وهو العيد الذي جُدّ فيه جبرائيل الأرض  
بعد أن كانت سائلة باسم الآلهة ومدتها ثلاثة أيام تقع بعد العيد الكبير  
بـ ١٠٨ أيام وتقديم فيه القرابين الموتى وتعمل فيه أعمال البر لهم  
ويبدىء هذا العيد في اليوم الثامن عشر من شهر أيار الصائبى  
وينتهي في ٢١ منه .

### كتب الصابئة المقدسة

الكتب المقدسة، هي المصادر الوحيدة لأديان العالم. ولا توجد  
اليوم أمة لاتستمد ديانتها من كتب تعتقد بصدورها من مصدر  
ساوى، وحتى الأمم المتوجهة فإنها تنسد أساطيرها وطقوسها  
إلى مصدر روحي وراء هذا العالم المنظور . وتجتهد هذه الأمم  
في أن يجعل هذه الكتب صادرة من واسطة التبليغ مباشرة بل  
قد يترقى البعض منها فيجعل هذه الكتب منزلة بنجومها من  
السماء كما تدعية الصابئة في صحف آدم المفقودة، أو كما تدعية اليهود

في توراتهم قبل النبي. وقد يكون هذا الدافع طبيعي لقوى الاعتقاد  
وببناء الاعيان على أساس متين.

وقد سمعت الجامع التي عقدتها الأمة النصرانية في القرون  
الوسطى إلى تصحيح الأنجليل وإلى محـو المشتبه فيه كما حصل مثلـ  
هذا التصحيح للقرآن في صدر الإسلام حينما أمر عثمان (رض)  
بحـو مـا لم يـكتب بلـغة قـريـش . وهـكـذا نـجـدـ الأـمـمـ عـلـىـ اختـلـافـهاـ  
تعـقـدـ بـأـنـ كـتـبـهاـ هـىـ المـصـدـرـ المـفـيدـ لـلـيـقـيـنـ بـتـكـالـيفـهاـ وـالـواـسـطـةـ الـتـىـ  
تـدـيـنـ بـهـاـ لـمـعـبـودـهـاـ .

ويرى الصابئة زيادةً على مآثره الأمـمـ الأخرى ، انـ كـتـبـهمـ  
المقدسة قد توارثوها بصـورـها المـوـجـودـةـ لـدـيـهـمـ عنـ آـدـمـ أـبـيـ الـبـشـرـ  
فـابـراـهـيمـ الـخـلـيلـ فـوـسـىـ فـيـوـحـنـاـ الـمـعـمـدـانـ ، وـهـمـ يـعـتـرـفـونـ بـأـنـ مـعـظـمـ  
هـذـهـ الـكـتـبـ قدـ تـلـفـ بـالـرـغـمـ مـنـ حـرـصـهـمـ عـلـىـ الـاحـفـاظـ بـهـاـ إـلـاـنـهـمـ  
لاـ يـسـكـونـ فـيـ أـنـ صـورـةـ الـمـوـجـودـ مـنـهـاـ طـبـقـ الـصـورـةـ الـأـصـلـيـةـ الـمـنـزـلـةـ  
وـاـنـ الـتـطـوـرـاتـ الـتـارـيـخـيـةـ لـمـ تـؤـثـرـ عـلـيـهـاـ مـنـ هـذـهـ النـاحـيـةـ لـافـ الـلـفـةـ  
سوـلـافـ الـتـرـتـيبـ وـقـدـ يـكـوـنـ هـذـاـ الشـئـ مـسـتـبعـدـ .

وـأـهـمـ الـكـتـبـ الـتـىـ بـقـيـتـ فـيـ أـيـدـيـهـمـ حـتـىـ الـآنـ هـىـ :-

١ - كتاب (الكنزاربـا) أو (السدرا دادـمـ) أـىـ الـكـتـابـ  
الـعـظـيمـ أـوـ الـكـتـابـ الـمـنـزـلـ عـلـىـ آـدـمـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) وـهـوـ مـطـبـوعـ  
عـلـىـ حـجـرـ فـلـيـسـكـ بـالـمـانـيـاـ وـتـخـتـافـ الـصـابـيـةـ فـيـ تـارـيـخـهـ فـنـهـمـ مـنـ

يقول بأن تاريخه يرتكز إلى ما قبل النصرانية ومنهم من ذهب إلى أنه من عهديو حنا المعدان ولا يكاد تاريخه يعرف بالضبط. وتنحصر مباحثه في ذكر بدء الخليقة والتطورات التي حدثت للبشر.

٢ - كتاب (أدرافشه ديهى) أي تعاليم يحيى وهو أحدث تاريخاً من الأول ويتضمن حياة النبي يحيى (ع) وارشاداته وتعاليمه الدينية. فيكاد والحالة هذه، يشبه الأنجيل الموجودة في أيدي النصارى وفيه أيضاً بحث في النجوم والكتواكب يستعينون به على استخراج الطالع والفال.

٣ - (القلستا) أي كتاب الفرح وهو خاص بالبحث عن مراسيم الزواج والاحتفالات التي تقام أثناء العقد وعن كيفية تحليل النكاح الشرعي واجراء الخطبة.

٤ - (سدرا دنسانا) أي كتاب النقوش وموضوع البحث في مراسيم الجنائز وتلقين الأموات وكيفية دفنهن وأسباب تحرير البكاء والحداد عليهم وما إلى ذلك مما يتعلق بالموت والمعاد.

٥ - (الديونان) وهو سفر ضخم تذكر فيه قصص بعض الروحانيين وسيرهم مع صورهم وهو من أنفس كتب الصابئة التي تعيين المتبع لدبياتهم على الوقوف على أهم ما يتطلبه الباحث.

٦ - (أسفر ملواشى) أو (أسفر ملواشا) ومعناه سفر البروج الذي يتمكنون بواسطته من معرفة البرج الذي ولد فيه الشخص.

فيسنبطون منه اسمه المقدم الذي يبقى محفوظاً لديهم ويعينون به طالع المولود.

٧ - (الإيناني) أي الأناشيد أو الأذكار الدينية التي تتلى في الصلاة وهو كتاب خطى قديم، شاهدت نسخة قديمة منه على رق غزال.

ولهم عدا ما تقدم ، عدة كتب تتعلق ببطقوسهم وآدابهم ومعايداتهم وسائل سنهم الاجتماعية وهم حريصون جداً على هذه الكتب ولا يكاد الإنسان يستطيع الوقوف على أحدوها إلا بشق الأنفس لأنهم يرون أن اطلاع الغير على كتبهم، أمر محظوظ عليهم الفاعل .

### عدد الصابئة ومناز لهم

ان شرط الاتمام إلى دين الصابئة وما يتطلبه من مراسيم تقبله، هو السبب الذي جعلهم محصورين في العدد آخذين في التناقض وقد لا يمرّ قرن عليهم إلا وهم منقرضون من سفر الوجود أضعف إلى ذلك ان حالتهم الاجتماعية وعادات الزواج عندهم تمنعهم من التوسع والانتشار ، فلا يستطيع غير الصابئي أن يكون صابئاً ، ولا يحل للصابئي أن يتزوج بغير صابئية ولا يزيد عدد الموجود منهم الآن على الـ ٣٠٠ نسمة إلا أن الشيخ دخيل ذكر لنا أن عددهم يربو على الـ ١٠٠٠ نسمة وأمر ذلك موكول إلى الاحصاء الرسمي.

وقد كانوا في أيام الخلفاء العباسيين منتشرين في كثير من بلدان الشرق التي تقع على الأنهار. وكان لهم مركز دعائية في حرّان<sup>(١)</sup> أما اليوم فقد أصبحوا مخصوصين في أماكن معينة من العراق وفي بلاد عربستان . ومعظم منازلهم بل كلها واقع على شواطئ الأنهار لأن طقوسهم وعاداتهم الدينية لا تتم إلا بالارتمان في الماء الجارى كما أسلفنا . وقد حدثت في الأيام الأخيرة عدة حوادث أفتت الكثير منهم وقضت على عدد من كتبهم المقدسة ولا سيما في أيام الاقتتالات في العراق وعربستان . وقد قص علينا الشيخ دخيل الموى اليه عدة حوادث عن اضطهاد الصابئة لم تتبتها هنا لفقدان تاريخها بالضبط .

وأهم البلدان التي يقطنونها في الوقت الحاضر هي: العمارنة والعزيز (بالتصغير) وقلعة صالح والشوش ونهر صالح وكربة بنى سعيد والجبائيش والحمار « بشدید الراء » وسوق الشيوخ والناصرية والبصرة والمحمرة وشستر ودسپول وغيرها وقد توطن بعضهم ببغداد بعد الاحتلال البريطاني وزرع فريق آخر إلى طهران طلباً للرزق

(١) عن تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٧٧ طبعة أوربا « وكانت حرّان مدينة عظيمة وأما اليوم بغرباً، قال في المشترك وحران مدينة مشهورة تعد من ديار مصر » بالضاد المعجمة ، قال ابن حوقل وهي مدينة الصابئين وبها مدنهم السبعة عشر وبها تل عليه مصل للصابئين يعظمونه وينسب إلى إبراهيم وهي قليلة الماء والشجر ... الخ »

وقد كرلنا الشيخ دخيل ان بعض أبناء الصابئة أخذ يتساهم في أمر المراسم الدينية الأمر الذي قد يبيح لهم السكنى على غير مجرى المياه . أما صناعتهم فهي على الأغلب صياغة المينا .

### صياغة المينا

والميناء (بالكسر والمد) لفظ فارسي معناه صناعة جوهر الزجاج وهو اسم لا كاسيد معدنية تصدر بعادة زجاجية وتزين بها الأواني الثمينة فتكتسبها رونقاً وجمالاً .

وصناعة المينا قديمة عرفها الطورانيون الأقدمون وتناقلها عنهم المصريون والفينيقيون ثم انتقلت إلى الهند وفارس ثم إلى البيزنطيين وقد انتشرت في الشرق والغرب حتى بلغت أوج كمالها في نهاية القرن السادس عشر للميلاد .

وهي إما شفافة كالزجاج يخترقها النور وتحكى بها ورائها وإما كثيفة تزين بها سطوح الأجسام فتشبه الخزف الصيني . وكل النوعين يمتاز بكونه ذات ألوان متعددة وهي تستعمل لوجوه الساعات التي تثبت عليها الأرقام .

أما طريقة عملها ف تكون بسحق الأجزاء المطلوب مزجها بكميات معينة كل على حدة سحقاً جيداً ثم توضع على النار فتصير إلى أن تسيل في بودقة مقطعة أربع مرات ترفع في كل مرة لتتسكب

بالتدريج في ماء حتى تتصلب الأجزاء فيسهل سحقها وتجري من.  
وراء ذلك عملية التخطيط على الأجسام بالصور المطلوبة.

وقد تخصص القسم الأغلب من الصابئة بهذه الصناعة حتى  
أبدعوا فيها وأتقنوا فن نقل الصور بضبط ودقة. وتکاد هذه  
الصناعة تحصر فيهم لأنهم حرر يصون على حفظ أسرارها.

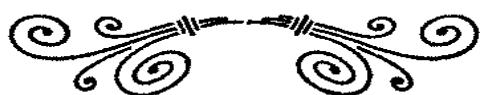
. ويتهن البعض منهم صناعة السفن الصغيرة المسماة (الطراريد)  
وهي السفن التي يكثر استعمالها في جنوب العراق كما ان بعضهم  
يتهن الحداقة ويعمل الأخشاب وهم قليلون جداً.

### الخاتمة

تبين مما تقدم، أن الباحث لا يستطيع أن يصل بصورة قطعية  
إلى مبدأ الدين الصابئي وإلى التطورات التي طرأت عليه في القرون  
المتوسطة، وهل هؤلاء الذين يدعون أنهم صابئة هم الصابئة الأقدمون  
الذين ذكرهم القرآن ونوه عنهم مؤرخو القرون الوسطى؟ أو إنهم  
طائفة أخرى اتّحَلت هذا الاسم كما يدعى (هنري يونيون) في  
كتابه (الرقم المندائية)؟؛ إلا أننا نستطيع أن نجزم بأن في كثير  
من تعاليمهم وطقوسهم الدينية، الشيء الكثير من تعاليم الدين  
الصابئي القديم وأن كنا نجهل طرق توصلهم إلى تلك الطقوس.  
أما الكتب الموجودة بأيديهم، فهي مع قدّمها، لا تکاد تفي.

اليقين بأنها كتب الصابئة الأقدمين أو أنها باقية من قبل الطوفان  
أو بعده أو من زمن يوحنا المعمدان بأيدي هذه الطائفة .

ولا شك في أن ماضطرناه نقلًا عن الكتب التاريخية واستناداً  
إلى ما كتبه البعض وقصه علينا رئيس الطائفة الشيخ دخيل،  
الكافية لمن أراد أن يدرس حياة وأحوال هذه الطائفة الغريبة في  
أشكالها وسمحت وجوه أبنائها والتي تشرف اليوم على الانقراض  
وقد تصبح في سجلات التاريخ بعد حين . ۲



اهم الكتب التي اعتمدنا عليها في وضع هذه الرسالة

- ١ - دائرة المعارف الانجليزية
- ٢ - الفهرست لابن النديم
- ٣ - دائرة المعارف الافرنسية
- ٤ - الرقم المندائية (كتاب افرنسي)
- ٥ - مجلة المقتطف
- ٦ - كتاب ضخم في اللغة الالمانية
- ٧ - الملل والنحل للشهرستاني
- ٨ - تقويم البلدان لا في الفداء
- ٩ - مجلة البيان لليازجي
- ١٠ - اغاثة الدهان في مصائد الشيطان
- ١١ - مروج الذهب للمسعودي
- ١٢ - مقدمة ابن خلدون
- ١٣ - القاموس المحيط للفيروز ابادي
- ١٤ - الملل والنحل لابن حزم
- ١٥ - مجلة المشرق لليسوغين
- ١٦ - مندائى
- ١٧ - كتاب أبكار الأفكار للأَمْدَى (خط) ... الخ

## مضامين الكتاب

الصفحة	الموضع	كلمة المؤلف
٥	المقدمة بقلم العلامة الكبير احمد زكي باشا	الصاينة قد ياماً وحديثاً
٨		أدوار الديانة الصابئية
٨		الصاينة في الدور الأول
١٠		« « « الثاني
١٢		« « « الثالث
١٤		« « « الرابع
١٥		فرق الصاينة
١٦	الفرقة الأولى : أصحاب الروحانيات	
١٧	الفرقة الثانية : أصحاب المهايا كل	
١٩	الفرقة الثالثة : أصحاب الأشخاص	
٢٠	الفرقة الرابعة : الحلوية أو الحرّانية ( وهو الأصح )	
٢١	الفرق بين فرق الصاينة	
٢٢		الصاينة الحرّانية
٢٥		صاينة البطانع
٢٧	عقائد الصاينة وطقوسهم الدينية	
٢٨	فكرة الخالق وبداء الخلية	
٣٠	الكون في نظر الصاينة	
٣٢	خليفة آدم (ع)	

الصفحة	الموضوع
٣٣	فكرة الخير والشر
٣٣	الموت في نظر الصابئة
٣٦	ما بعد الموت
٣٨	المعاد
٣٨	الصوم عند الصابئة
٣٩	الصلوة عندهم
٤٣	الزواج عندهم
٤٣	مراسيم الزواج
٤٥	العدة والحيض والنفاس
٤٦	الاعتراف عند الصابئة
٤٧	كهنة الصابئة ودرجاتهم ووظائفهم
٥٢	طعام الكهنة وبعض وظائفهم
٥٣	التعميد وأقسامه عند الصابئة
٥٦	أعياد الصابئة
٥٨	كتب الصابئة المقدسة
٦١	عدد الصابئة ومنازلهم
٦٣	صياغة الميناء
٦٤	الخاتمة
٦٦	مصادر الرسالة
٦٧	مضامين الكتاب